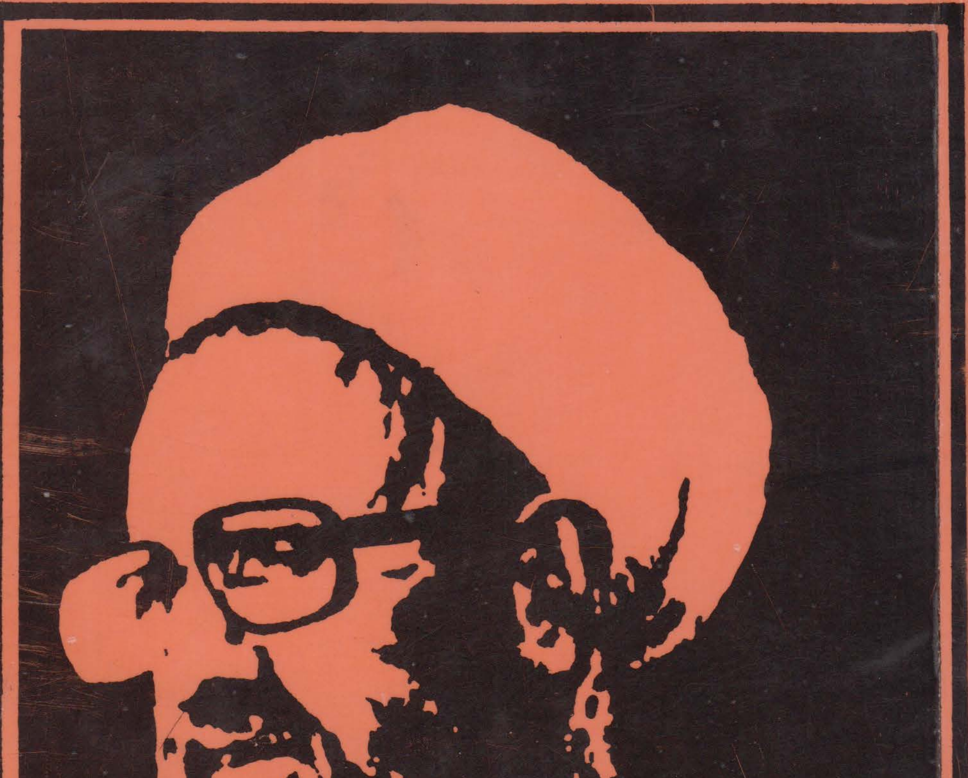


قبس من حياة الشهيد مرتضى المطهري

قبس من:
حياة الشهيد المطهّري

المؤتمر الدولي لدراسة أفكار العلامة مرتضى مطهري

دمشق - (٢١-٢٢) شوّال ١٤١١هـ (٥-٧/٥/١٩٩١)

المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية
بدمشق

ثبت

مواد الكتاب

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم

قال اللّه تعالى: (لقد أرسَلنا رُسُلنا بالبيّناتِ وأنزَلنا مَعهُم الكِتابَ والميزانَ ليقُومَ النّاسُ بالقِسطِ وأنزَلنَا الحَديدَ فيه بأسٌ شديدٌ و منافِعُ للنّاس وليَعلَم اللّهُ من ينصُرُه ورُسُله بالغيب إنّ اللّه قويٌ عزيزٌ)

سورة الحديد: الآية ٢٥

نبتدأ بسم اللّه الرّحمن الرّحيم القادر القهّار العَزيز الغالِب، الذي أعطى كل شيء خلقه و عليه التكلان. و نفتتح باِسمه هذه الصحيفة التي سطّرت لذكرى ذلك الرجل الطاهر المطهّر، الذي كان يتلهف شوقاً الى لقاءاللّه، ويذوب في انتظار الرجعة اليه. ذلك الرجل العظيم الذي بسط بنفحته القدسية فكره الإلهي على الافكار الجامدة، فكانت صحراء قاحلة وعادت حديقة غناء، تفوح ورودها وأزهارها بالنسيم

العطر. ذلك المفكّر العظيم، رجل التقوى والعلم، الذي لم يستشعر مجتمعنا فقدانه بعد غياب جسمه، بسبب إنتشار اشعة افكاره النيّرة، فظل ذلك الشهيد الخالد، والصاحب الوفي لامامنا (روح‌الله)، نبراساً مضيئاً على الصراط المستقيم، في مفترق الطرق المظلمة للأفكار.

نعم، لقد انتقل العلامة المطهري ذلك الايمان الراسخ، والروح الطاهرة، والبيان البديع الى عالم القدس، وأصبح بذلك خالداً أبدياً. إنّ الثقافة الثورية والتربوية للإسلام وللتشيّع ـ بصورة خاصة ـ استطاعت منذ بدء ولادتها (عصر نزول الوحي) حتى يومنا هذا أن تربّي أبطالاً آمنوا بالهدف، وعرفوه حق المعرفة فعشقوه ولذلك استقاموا، وآثروا بالنفس والنفيس في سبيل نشر تعاليم الدين، واستمرار حركته و نفوذه في جميع خلايا المجتمع البشري، فأصبحوا من العوامل الهامة في بقاء مشعل الإسلام والتشيع مضيئاً وهاجاً. هذا مع ان التأييد الإلهي كان ولا يزال في جميع المواقف الخطيرة ـ بصورة اعجازية ـ نصيراً للامة المحمدية (ص)، وكفيلاً بسعادة البشرية في نهاية الأمر.

و بنظرة شاملة للتاريخ قلّما نجد عصراً فارغاً من ثورة الانسان في سبيل الابقاء على القِيَم الإنسانية المتعالية. و تاريخ الإسلام أكبر شاهد على ذلك. فمنذ أن بعث الرسول الأكرم (ص) و تحمّل أعباءالرسالة الكبرى لهداية البشر، استمر النضال المرير لصيانة حريم هذه الرسالة العظيمة. فكم من أتعاب ومشاقّ تحملها الرسول الاكرم وأنصاره؟، وكم من آلام ومصائب استقبلها أتباعه من بعده للمحافظة على الوديعة الإلهية؟. وكم من ألسُنٍ قُطِعت ولاذنبَ لها الا الإفصاح عن كلمة (لا إله الاّ الله). و مع ذلك فان الإسلام ـ السبيل الوحيد لإنقاذ البشرية ـ بزغ من خلال ذلك الكهف المظلم، والصخرة الصماء، وفي تلك الليلة الدهماء ليبسط اذياله على البسيطة كلها، فأصبح ـ بعون‌الله ـ صرخة المجاهدين في ميادين القتال، واستمر واستقر في مدارس التعليم والتربية لائمة أهل البيت عليهم السلام وعلى تراب أضرحتهم المقدّسة.

وكم من أفكار وطاقات شيطانية بُذلت لايقاف الحركة الإسلامية او تحريفها؟ وكم من جرائم ارتكبت لاطفاء الشعلة الاسلامية الوقادة؟، ولكن إستمر الخط الاسلامي الأصيل ـ منذ ولادته وابتداء مسيرته بالثورة المحمدية ـ في جبل متين

و صياغة طاهرة، فيتسع و يعرض في بعض العصور كنهر فياض، و يستدق في بعضها كجدول، ولكنه ــ على كل حال ــ بقي جارياً مدى الدهور. و حيث كان استمراراً للحركة الاصيلة التي بدأها محمد (ص) لم يسمح للصخور مهما كانت صلدة ان تقف في طريقه و تسدّ مسيرته.

ولكي يتبين بوضوح دور ائمة أهل البيت و نضالهم على اختلاف الاساليب التي تقتضيها متطلبات الزمان والحكمة في غيبة إمام العصر (عجل الله فرجه) ودور أتباع الأئمة في كل عصر بما فيهم علامتنا الشهيد (المطهري) يجب ان نمعن و نتعم النظر في العوامل والاسباب التي أدت، الى إنتفاضة شبابنا في العصر الحاضر وبعد مرور ١٤٠٠ عام على بدء الحركة الإسلامية للنيل بالاسلام الواقعي الأصيل و توفيقهم واهتدائهم اليه بالرغم من تظافر اعوان الطغاة وأنصار الظلمة في طول هذه العصور (١٤٠٠ عام تماماً) على إبادة معالم الاسلام الحق وبالرغم من استعمال شتى أساليب القهر والضغط والاستبداد.

إنّ الاسلام الحق و خطّه الاصيل الذي نعرفه اليوم انما وصل الى الجيل الحاضر كوديعة من السلف الصالح، طاهراً منزهاً من الإنحرافات والتشعبات بسبب التضحية التي أقدم عليها ثلة من أعلام الأمة في طول التاريخ الشيعي المفعم بالدماء والدموع.

إنّ ائمتنا ــ حملة راية التوحيد ــ كانوا طيلة حياتهم يمارسون كفاحاً ونضالاً مرّاً في مجالين:

الأول ــ المجال الايديولوجي، حيث كانوا يباشرون بنشر الفكر الاسلامي وهداية الناس بعد أن مالوا عما تدعوا اليه الفطرة الإلهية وكانوا يهتمون ــ بصورة خاصة ــ بمكافحة مراكز الظلم التي كانت تحاول طمس آثار الاسلام و تحريفه عن مسيرته الواقعية.

الثاني ــ المجال السياسي العسكري الذي لاينفك عن النضال في المجال الايديولوجي لنشر المعرفة الإلهية والإنسانية حيث كان الائمة إذا سمحت لهم الظروف يثيرون حرباً طاحنة على ائمة الكفر و زعماء الإلحاد.

والذي يلفت الإنتباه في سيرة ائمتنا هو أنهم لم يكونوا يغفلون وهم في معترك

النضال السياسي والعسكري مع الأنظمة المُشركة الحاكمة عن جعل التوحيد كأساس للفكر الاسلامي ودأبوا على تربية جيل موحد عارف بشؤون الدين و تتجلى ثمرة هذا الجهد و استمراره بوضوح في رجال الدين الشيعة. فهُم الحصون المنيعة الذين واصلوا هداية النضال الاسلامي في المجالات الايديولوجية والسياسية والعسكرية واخذوا بزمام القيادة في كثير من الاحيان. و يتبين ذالك بوضوح بملاحظة الصراع المرير طيلة التاريخ الأسود للسلطة البهلوية الغاشمة (الأب والإبن).

إنّ الدور الذي أدّاه علامتنا الشهيد الأستاذ (المطهري) كعالم ومفكر إسلامي طيلة حياته المباركة دور عظيم وخطير. الاستاذ المطهري أحد حواريّ الإمام وصاحب الفكر الثاقب دخل المعركة في عصر مظلم شمرت فيه الدول الاستعمارية عن سواعدها لحذف التفكير الإسلامي عن شؤون المجتمع و تحريف الافكار الاسلامية كذباً و بهتاناً واصبح شبابنا في مهبّ عواصف الدعاية الأجنبية. و نظرة اجمالية الى ماتركه هذا الرجل العظيم من آثار تكفي لمعرفة مدى اهتمامه بمكافحة الأفكار المستوردة والافتراءات الملصقة بالدين وغاية جهده في ارواء هذا الجيل المتعطش من المنهل الإسلامي العذب الصافي. وكان يرى لزاماً على نفسه ان يكافح كل إنحراف عن المسيرة الأصيلة للدين وكان يقول: (انني ــ اذ اشعر بالمسؤولية الإلهية ــ انبّه القادة الكبار للحركة الإسلامية وأتمّ الحجة عليهم وأشهد الله على ذالك بأنّ انتشار الأفكار المستوردة تحت ستار الفكر الإسلامي ومع طابع الإسلام ــ سواء كان على أساس سوء السريرة ام لا ــ يشكل خطراً يهدد كيان الاسلام).

وقد صادق على صحة طريقته واستقامة تفكيره و قدسية هدفه استشهاده في سبيل الله. فها هو دمه الطاهر يجري في جميع عروق المجتمع وبذلك يبقى قلب مجتمعنا نابضاً بالحياة والحركة الى الأبد.

بيان الإمام القائد في اليوم التالي لشهادة
الاستاذ المُطهري

بسم الله الرّحمن الرّحيم

إنّا لله وإنّا اليهِ راجعُون

إنّني أُعزي وأُهنيء الإسلام والأولياء الكرام والامة الإسلامية وخاصة الشعب الإيراني المناضل بمصابهم المؤسف بالشهيد الجليل والمُفكّر الفيلسوف والفقيه الكبير المرحوم الحاج الشيخ مُرتضى المُطهري قدّس سرّه. أما العزاء فباستشهاد ذالک الرجل الفذّ الذي قضى حياته الكريمة الغالية في سبيل تحقيق الأهداف الإسلامية المقدّسة والكفاح المتواصل مع كل الأفكار الملتوية المنحرفة. ذالک الرجل الذي عزّ له مثيل في معرفة الدين الإسلامي والمعارف الإسلامية المختلفة وتفسير القرآن الكريم. أما أنا فقد فقدتُ ولداً عزيزاً وقد فُجعت بوفاته فكان من الشخصيات الذين أعدّهم ثمرة حياتي.

وقد ثلم في الإسلام باستشهاد هذا الولد البارّ والمفكّر الخالد ثلمة لايسدّها شيء.

وأما التهنئة فلأننا نحظى بوجود أمثال هؤلاء الرجال الذين يضحّون بأنفسهم

ويشعّون بالنّور في حياتهم وبعد وفـاتهم. إنـني أُهنىء الإسلام العـظيم مـربّي الاجيال وأُهنىء الامة الاسلامية بتربية رجال يفيضون بالحياة على القلوب الميّتة و بـالنور على الظلمات. وإنّي وان خسرتُ إبناً عزيزاً كان كبضعةٍ مـني، ولكني أفـتخر: بـأن كـان في الإسلام وسيكون مثل هذا الابن المجاهد.

لقد غاب عنا المُطهري الذي قلّ له مثيل في طهارة الروح وصلابة الإيمان وقـوة البيان والتحـق بـالرفيق الأعلى ولكن الاعداء لن يستطيعـوا أن يـقضوا على شخصيته الإسلامية والعلمية والفلسفية. وان المغتالين لن يتمكنوا من اغتيال الشخصية الإسلامية لرجـال الإسلام. و ليعلموا أن فـقدان الشخصيات الكبار لن يـزيد شعبنا ــ إن شاءَ اللّه العزيز ــ إلاّ تصميماً وعزماً في استمرار الكفـاح ضد الفساد والإستبداد والإستعمار. إنّ شعبنا قد اهتدى الى سبيله ولن يألو جهداً في قطع الجـذور النتنة للنظام البائـد وأعوانـه الخبثاء. إنّ الإسلام العزيز نما و ترعرع بالتضْحيات و تقديم الأبطال. ولقـد جـرت سُنّة الإسلام منذُ نزول الوحي على الشهـادة والشهـامة. ومـن أهم مـايدعو اليه الإسلام هو القتال في سبيل اللّه والمستضعفين (ومـا لَكُم لاتُـقاتلونَ في سَبيلِ اللّه والمستضعَفِينَ مِنَ الرِّجالِ والنّساء والـولدانِ..).

وهؤلاء الذين تيقّنوا الهزيمة والفناء يحاولون الإنتقام بهذا العمل اللا إنساني أو إرعاب المجاهدين في سبيل الإسلام. ولقد خابت ظنونهم. فـمن كـلِ شعـرةٍ لكل شهيد ومن كلِ قطرةٍ دم تروي الأرض سينبعث مجاهد قويّ العزيمة. فلا سبيلَ لكم للعودة الى نهبِ ثروات الشعب الاّ أن تغتالوا جميع أبناء هذه الأمة ولن ينفعكم اغتيال الفـرد مـهما كان عظيماً. ولن يتراجع الشعب الثائر لإعادة مجد الإسلام متوكلاً على اللّه تعالى بـهذه المحاولات اليائسة فنحنُ مستعدون للتضحية والإستشهاد في سبيل اللّه.

إنـني أُعلن يـومَ الخميس ١٣/ ارديـبهشت ١٣٥٨ هـ. ش، الموافـق ليوم ٦/ جمادى الثاني /١٣٩٩. يوم حِداد عام على رجـلٍ فـذ مُناضل مُـجاهد في سبيلِ الإسلام والشعب. وسأُقيم شخصياً مجلس التأبين في المدرسة الفيضية يومي الخميس والجمعـة. وأسأل اللّه تعالى لابن الإسلام العزيز الرحمة والغفـران وللديـن الإسلامـي الكرامـة والمجد. والسلامُ على شهداء الحق والحرية.

روحُ اللّه المُوسويّ الخُميني

بيان الإمام القائد في الذكرى السنوية الأولى لشهادة الأستاذ

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم

لقد إنتصرت الثورة الإسلامية في إيران بالرغم من محاولات الأعداء والمشاغبين بين إرادة اللّه تعالى وتوفيقه واستقرت المؤسسات الثورية الاسلامية واحدة تلو الاخرى خلال ما يقارب سنة واحدة في سلام ووئام. ولكن مرّت على شعبنا وعلى الحوزات الإسلامية والعلمية خسارات فادحة على أيدي المنافقين أعداء الثورة. ومنها إغتيال المفكّر الإسلامي العلاّمة الكبير حُجة الإسلام الشهيد الحاج الشيخ مرتضى المُطهري رحمةُاللّه عليه.

إنّني لا أستطيع في هذه الحالة ان أظهر كل عواطفي بالنسبة الى هذه الشخصية الكريمة. ولكني أقتصر على أن أقول فيه: إنّه أسدى الى الإسلام والعلم خدمات جليلة، ومن المُؤسف جداً أن تقتلع اليد الأثيمة هذه الشجرة المُثمرة من الحوزات العلمية والإسلامية وتحرم الجميع من ثمراتها القيمَة.

كان المُطهري ولداً عزيزاً لي وعماداً منيعاً للحوزات الدينية والعلمية وخادماً مُخلصاً للشعب والوطن فرحمهُاللّه واسكنه في جوار خَدَمَة الدين المُخلصين.

واليوم يُسمع هنا وهناك أن أعداء الإسلام وأعداء الثورة يحاولون بدعاياتهم المناوئة للدين ان يمنعوا الطلاب الأعزاء في الجامعات من الإستفادة من كتب هذا الأستاذ الفقيد. وإني أُوصي الطلاب والطبقة المثقفة الملتزمة أن لا يتركوا كتب هذا الأستاذ العزيز تُودع زاوية النسيان بمؤامرة أعداء الإسلام.

اسأل اللّه تعالى أن يوفق الجميع. والسلامُ على عبادِ اللّه الصالحين.

روحُاللّه الموسويّ الخُميني

بيان الإمام القائد في الذكرى السنوية الثانية لشهادة الأُستاذ

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم

نمرّ اليوم بذكرى استشهاد شهيد مُطهّر خلّف بعده من الآثار الخالدة ما يشعّ من الفطرة الصافية والروح الملتهبة عشقاً بالهدف المُقدس. لقد كان معلماً و مربياً للمجتمع ينطق بلسان العامة دون إضطراب وقلق فيفسر المسائل الإسلامية ويوضّح الحقائق الفلسفية ببيان قويّ وفكر قويم. وكل ما خلّف من آثار قلمه ولسانه يفيضُ بالعلم ويربّي الروح.

و مواعظه ونصائحه التي كان يبثها من قلبٍ مفُعم بالإيمان ينتفع بها العامة والخاصة. وكان من المؤمّل ان يُستفاد من ثمار هذه الشجرة المُثمرة علماً وايماناً اكثَر مِما بقي منه وأن يتخرجَ لديه علماء يفيدون المجتمع أكثر مما تخرج. ولكن ــ مع الأسف ــ لم تمهله الأيادي الآثمة وحَرَمت شبابنا من طيّبات ثِمار هذه الشجرة المُباركة. ونشكرُ اللّه على أنّ ما خلّفه الأستاذ الشهيد بمضامينه العالية آثار جديرة

بالتربية والتعليم.

لقد التحق الأستاذ الشهيد مرتضى المُطهري بالأبدية، فرحمه‌اللّه وحشرهُ مع مواليه.

روحُ اللّه الموسويّ الخُميني

(نُبذة من حياة الأُستاذ المُطهّري)

ولا تحسبنّ الذين قُتلوا في سبيلِ اللّه أمواتاً بل أحياءٌ عِندَ ربهم يُرزقون.

(آل عمران ١٦٩)

كانت شمس الجمهورية الإسلامية على افق إيران في أوائل بزُوغها حيث انبسط في سماءِ الثورة شفق احمر من دم شهيد الإسلام الخالد واليوم يمرّ على ذالک السحر الدامي أكثر من سنتين ولم يتوقف فوران ذالک الدم الطاهر لمعلم العقيدة الإسلامية في عروق التربية العقائدية للثورة.

وهنا نذكر نبُذة من حياة الأستاذ الشهيد مرتضى المُطهري تخليداً لذكراه:

ولادتهُ ونشأتهُ:

ولدَ الأستاذ الشهيد في ١٣ بهمن ١٢٩٨ هجرية شمسية الموافق لـ ١٣ جمادى

الأولى ١٣٣٨ هجرية قمرية في قرية فريمان من قرى محافظة خراسان. والده هو المرحوم الشيخ محمد حسين المُطهري، كان رجلاً ورعاً تقياً وانموذجاً في التقيّد بالسُنن الإسلامية. لقد تربى الأستاذ في حجر هذا الوالد المتقي وكان يمتاز منذ طفولته عن الآخرين. فكان مُحباً للطهارة والتقوى، مُتجنباً الاعمال المشينة توّاقاً الى العلم والمعرفة ذكياً نافذ البصيرة. وابتدأ الأستاذ دراسة في مدرسة فريمان (مدرسة فريمان من المدارس القديمة التي كانت تدرس فيها القراءة والكتابة والسور القصار من القرآن الكريم و مقدمات في الأدب العربي).

ومنذ ذالك اليوم كلما ارتقى الأستاذ في مدارج العلم والتقوى إزداد حبُه و تعلقه بالمسائل الإسلامية. و توازن هذه العوامل أدى الى هذا الإنتاج الخصب والآثار الجليلة التي قدّمها الأستاذ الشهيد طيلة حياتهِ.

دراسة الأستاذ في الحوزة العلمية في مشهد:

كان الأستاذ يتلهف شوقاً الى دراسة العلوم الدينية وهو في دور الصبا. ولذالك هاجر الى مشهد المقدسة في سنة ١٣١١ هجرية شمسية وعمرهُ اثنا عشر سنة ودرسَ هُناك مُقدمات العلوم الدينية من المنطق والفلسفة والحقوق في الإسلام والأدب العربي. وفي هذه المرحلة من حياته تجيشُ في نفسه فكرة تُسيطر على كيانه وجميع افكاره واعماله وحركاته وهي فكرة إثبات وجود الباري جلّ وعلا التي هي أهم وأدق موضوع مُثير حامت حوله الأفكار وحارت منذُ فجر التاريخ. يقول الأستاذ في بعض ملاحظاته:

(اتذكر أني في بداية دراستي للعلوم الدينية حيث كنتُ أدرس العلوم العربية في مشهد حيث كانوا أعظم الفلاسفة والعرفاء والمتكلمين ــ وان لم أكن بعد قد التقيت بأفكارهم ــ أكثر علماً في نظري من غيرهم من العلماء والمخترعين والمكتشفين. ولم يكن ذالك الا بسبب أني كنتُ أجدهم أبطال هذه المعركة. وأتذكر تماماً أني في تلك الاعوام حيث كان عمري بين الثالثة عشر والخامسة عشر أجول بين علماء الحوزة العلمية في مشهد و فضلائها و مُدرّسيها فكان الرجل الذي يبرز في عيني أعظم من الآخرين وكنتُ احبُ الجلوس في محضره والنظر الى وجهه والتأمل في شمائله وحركاته وأتمنى أن يأتي اليوم الذي احضرُ مجلس بحثه هو المرحوم الميرزا مهدي

الشهيدي الرضوي مدرّس الفلسفة الإلهية في تلك الحوزة).

وقال الأستاذ في موضوع آخر حول هذه العاصفة الفكرية في نفسه:

(أتذكر فيما يمكنني أن أتذكره من حالاتي النفسية أني في الثالثة عشر من عمري أحسستُ بهذا الشعور في نفسي وحصل لديّ شعور مُرهف بالنسبة الى المسائل الالهية وأخذت تتوارد على ذهني الأسئلة المتتالية على مستوى تفكيري آنذاك. وفي السنين الاولى لهجرتي الى (قم) حيثُ لم اكُن قد انتهيتُ من دراسة العلوم العربية كنتُ غارقاً في خضم هذه الافكار بحيث كنتُ شديد الحبّ للعزلة والإنفراد فلم أكن أتحمّل وجود شريك لي في حجرة المدرسة فاستبدلتُ الغرفة الممتازة في الطبقة الفوقانية بحجرةٍ صغيرةٍ محقرة بغية الإنفراد واللجوء الى أفكاري الخاصة. وكنتُ لا أرغب في ساعة الفراغ أن أفكر في موضوع آخر وفي الواقع اني كنتُ أرى التفكير في أي موضوع قبل الانتهاء من حلّ مسائل هذا الموضوع تضييعاً للوقت. وانما كنتُ أدرس المقدمات من الأدب العربي والفقه والأصول والمنطق لأتهيأ شيئاً فشيئاً لدراسة أفكار الفلاسفة الكبار حول هذا الموضوع).

دراسة الاستاذ في الحوزة العلمية في قم:

هاجر الأستاذ المُطهري الى قم الحوزة العلمية في سنة ١٣١٦ هجرية شمسية، الموافق لعام ١٣٥٨ هـ. ق. وعمره آنذاك سبعة عشر عاماً وهو يحمل في قلبه شوقاً عظيماً الى كسب المعارف الإسلامية.

كانت الحوزة العلمية العريقة في القدم تواجه صعوبات و مشاق من جرّاء الضغط والظلم من قبل السلطات الرضا خانية[1] بل كانت على شرف الانهيار والانحلال. وكانت المصائب تتوارد في تلك الظروف العصيبة على العلماء و رجال الدين و كان الاستاذ يرى بعينه هذه الفجائع ولكنها لم تحل بينه وبين ما عزم عليه من الهجرة الى قم. وهكذا ازداد حبّه للعلم و تلهّفه اليه حتى وفّق أخيراً للهجرة الى الحوزة العلمية الكبرى.

---

(١) رضاخان هو رضا بهلوي الشاه الأسبق (المترجم)

و ابتدأ هناک بالحضور في مجالس بحث الفقه والأصول لثلاثة من رجال الديـن الأكابر: (آيةاللّه الصدر. آيةاللّه السيد محمد المحقق و آيةاللّه السيد محمد حجت).

وفيما بين سنة ١٣١٩ الموافق لعـام ١٣٦١ هـ ق. و سنة ١٣٣١ هجـرية شمسية، الموافق لعام ١٣٢٩ هـ ق. حضر مـجلس بـحث الإمـام الخميني في يـومي الخميس والجمعة حول مواضيع الفلسفة والعرفان. وهنا عثر ــ كما يـقول ــ بضالته المنشودة في شخصية عظيمة.

قال الأستاذ وهو يشرح مدى شوقه لمباحث الفلسفة الإلهية:

(أما درس الأخلاق الذي كـنتُ أحضره لدى الشخصية المحبوبـة عندي يـومي الخميس والجمعة فكان في الواقـع درساً في المعـارف الإلهية و مـنهجاً للسير والسلوک العرفاني لا الأخلاق بمفهومه الجامد العلمي، فكنت اتمتع به غايـة التمتع ولستُ مـبالغاً إذا قلت ان هذا الدرس كان يطربني بحيث لم يـزل تـأثيره العميق في روحـي إلى يـومي الاثنين والثلاثاءمن الأسبوع التالي.

وكان لهذا الدرس والدروس التالية التي تلقيتها من ذالک الأستاذ الإلهـي طيلة اثني عشر عاماً الأثر العظيم في صياغة شطر كبير من شخصيتي الفكرية والنفسية. وانـي لاجد نفسي دائماً مديناً له بذلک. حقا انه كان صنيعـة الروح القدسية الإلهية)[1]

وكان الاستاذ المطهري يستفيد الى جانب دراسته للفلسفة والعرفان خلال ثمانية اعوام من سنة ١٣٢٣ الموافق لعام ١٣٦٩ هـ ق. الى سنة ١٣٣١ هجرية شمسية الموافق لعام ١٣٧٣ هـ ق. من محضر بحث آيةاللّه البروجردي رحمهُ اللّه. وكان زميله في الحجرة الفقيه الكبير آيةاللّه المنتظري. فقد استحكمت بـينهما اواصر الودّ والصداقـة مـنذ بـدء تعارفهما واستمرت تتزايد بسبب الأسفار واللقاءات والمكاتـبات حتى حـالت بـينهما شهادة الأستاذ.

وقد التقى الاستاذ المطهري في صيف عام ١٣٢٠ هجريّة شمسية الموافـق لعـام ١٣٦٢ هـ ق بالمرحوم الحـاج مـيرزا علي الشيرازي الاصفهـاني و تـعرّف عليه في

---

(١) يشير الأُستاذ هنا بوجه لطيف، الى استاذه؛ وأنّه هو الامـام الخميني، وذلک لانّ كـتابه هذا آلفـه في العهـد البهلوي الأسود (المترجم).

اصفهان بواسطة زميله الجليل آية‌الله المنتظري، وكان هذا اللقاء والمعارفة سبباً لتعرّف الأستاذ على معارف نهج‌البلاغة الأمر الذي كان لديه ثميناً غالياً جداً.

كان الأستاذ المُطهري شديد الحب والولاء لأمير المؤمنين علي عليه‌السلام ولكتاب نهج‌البلاغة وكان ينبّه دائماً على أنّه مختلف الجوانب ويحذّر الشباب من النظر اليه من جانبٍ واحدٍ. وقد ألّف في هذا الموضوع كتاب (سيري در نهج‌البلاغة) أي (مرور على كتاب نهج‌البلاغة) وهو شطر يسير مما كان يودّ ان يقدمه من عمل في هذا المجال ولم يوفقه القدر لإكماله. فالواقع ان سنة ١٣٢٠ (١٣٦٢ هـ ق) تُشكل منعطفاً تاريخياً هاماً في حياة الأستاذ الشهيد.

وكان الأستاذ الى جانب حضوره مجالس بحث الإمام الخميني و آية‌الله البروجردي والعلامة المرحوم السيد محمد حسين الطباطبائي مشتغلاً بالتدريس وكان يُعدّ من‌المدرسين المشاهير في‌الحوزة. فكانت له مجالس بحث (المطول) في الأدب العربي و (شرح المطالع) في‌المنطق و (شرح التجريد) في علم‌الكلام و (الرسائل) و(الكفاية) في علم‌الاصول و (المكاسب) في‌الفقه و (شرح المنظومة) في‌الفلسفة.

وقد تعرّف الأستاذ المُطهري من سنة ١٣٢٥ الموافق لعام ١٣٦٧ هـ ق. على المدارس الفلسفية الماديّة عن طريق كتاب الدكتور آراني و بعض الكتب الأخرى التي أصدرها الحزب الشيوعي (توده). و حيث كان شديد الميل الى الأبحاث الفلسفية وقد تبيّن تضلّعه في هذا المضمار اهتم بمطالعة تلك الكُتب بدقة وامعان. وكان لهذه المطالعات نتائج ثمينة حيث استمر الأستاذ الى النهاية في‌التحقيق عن‌الكتب الفلسفية سواء منها كتب الفلسفة الإلهية وكتب الفلسفة الماديّة، واستطاع بذالك ان يبين فوارق الفلسفتين و يقارن بين‌التفسير الإلهي للكون والتفسير الماديّ له و يقوم بتشييد أركان التفسير الإسلامي للكون و حمايته من هجوم التيارات الفكرية الالحادية.

و اشتركَ الأستاذ في سنة ١٣٢٩ الموافق لعام ١٣٧١ هـ. ق. في محضر بحث‌المرحوم الأستاذ العلامة الطباطبائي و قرأ لديه فلسفة ابن سينا. وعقد استاذه له مجلس درس خاص للتحقيق عن‌الفلسفة المادية فكانت أبحاثه حجر الأساس لتأليف كتاب (اصول فلسفة و روش رئاليسم) الذي كان له الدور المصيري في هذه السنوات العشرين في تفنيد أسس الفلسفة المادية. و يُعدهذا الكتاب من أعمق وأدق آثار الأستاذ المُطهري.

والجديرُ بالذكر ان مرحلة دراسة الأستاذ في حوزة قم كانت تفتح عليه أفقاً جديداً في مراحل حياته له اهميتهُ الخاصة وهو التعرف على مشكلات المجتمع الإسلامي والنشاطات السياسية والإجتماعية. فمثل الأستاذ المُطهري الذي لايترك مسألة الا و يفكر فيها ويحاول حلّ مشكلاتها ومن جانب آخر حبّه العميق للإسلام والمجتمع الإسلامي ولذالک كان يهتم جداً بكل موضوع يرتبط بمصير الإسلام والمسلمين ــ لاشک أنّه كان يفكر في المشاكل السياسية والاجتماعية. ومن جهة أُخرى كان الاستاذ قد تربّى في حوزة درس الإمام الخميني الذي كان يدعو تلاميذه دائماً الى الجهد في اصلاح شئون المجتمع الإسلامي والمحاولة لتطبيق الإسلام وأحكامه المقدسة في المجتمع فلا شک ان ذالک كان عاملاً قوياً يبعث الاستاذ على التفكير في مشاكل المجتمع الإسلامي و محاولة حلّها.

وفي سنين (٢٩،٢٨،٢٧) اي في سنين (١٣٦٩، ١٣٧٠، ١٣٧١ هـ ق) حيث اجتاحت جميع أرجاء إيران موجة النضال من أجل الحرية تَشكلت في قم أيضاً حركات و منظمات منها حركة (فدائيان اسلام) التي كانت تمارس الكفاح المُسلح وكان للأستاذ المُطهري دور في هذه النشاطات فكان مرتبطاً بجميع تلکَ الجمعيات التي كانت تدعو الى حركة ثورية لاصلاح المجتمع بما فيها منظمة (فدائيان إسلام) وكان الأستاذ بصورة سرّية يشاركهم في الفكر و يُرشد هم الى مصالحهم.

كان لايترک فرصة تُسنح له إلاّ و ينتهزها للهداية والارشاد والتثقيف الإجتماعي والثوري، كما كان يفعله أثناء الدرس وبعد الفراغ منه وفي لقاءاته وزياراته وفي أيام العُطلة الدراسية وفي اللحظات اليسيرة التي كان الطلاب ينتظرون مجيء المدرّس وفي خُطبه في مدرسة الفيضية وفي صحن السيدة معصومة (سلام الله عليها) ونحو ذلک. واذا تجمّع طلاب العلوم الدينية في أيّ حلقة تجمعهم، فلو كان بينهم المُطهري لوجدته غالباً هو المُتحدث، فكان حديثُه البديع و منطقه القوي يجذب نحوه الشباب من الطلبة.

هجرته الى طهران:

هاجرَ الأستاذ المُطهري في سنة ١٣٣١ هـ. ش، الموافق لعام ١٣٧٣ هـ. ق. من

قم الى طهران. وفي تلك السنة تَزوّج كريمة أحد مشاهير العلماء في خراسان. و منذ بدء هجرته الى طهران أي في نفس السنة عَقد حوزة تَدريس في مدرسة (مروي) واشتغل بتدريس الكُتب الفلسفية المُختلفة كشرح المنظومة والشفاء لابن سينا و (دانشنامة علائي). وفي سنة ١٣٣٢ الموافق لعام ١٣٧٤ هـ. ق. نشرَ أول مقالة له في مجلة (حكمت) التي كانت تصدر في قم، وفي سنة ١٣٣٤ هـ ش، الموافق لعام ١٣٧٦ هـ ق. أصدرَ أول جزء من كتاب (اصول فلسفه و روش رئاليسم) الذي كان أصله للأستاذ المرحوم العلامة الطباطبائي وتوضيحه و تعاليقه القيّمة المفصّلة للأستاذ المُطهري. وفي هذه السنة بالذات أي سنة ١٣٣٤ الموافق لعام ١٣٧٦ هـ ق. أرسلت اليه جامعة طهران دعوة ليقومَ بالتدريس في كلية الإلهيّات والمعارف الإسلامية. فأجاب الدعوة وقام بتدريس الفلسفة الإسلامية وغيرها من العلوم الإسلامية واستمرَّ في تدريسه وابحاثه و تحقيقاته هناك الى سنة ١٣٥٦ هـ. ش، الموافق لعام ١٣٩٨ هـ. ق.

وفي خلال هذه المدة ٢٢ عاماً قامَ الى جانبِ التدريس والتثقيف في الجامعة وخارجها بالبحث بشوقٍ وافرٍ حول المواضيع المختلفة في الثقافة الإسلامية وأخذ يؤلّف و يحقّق في المباحث المُختلفة الفقهية والأدبية والفلسفية والاجتماعية والعرفانية والتاريخية وكان دائماً يُبذل قصارى جُهده في تنشئة الشباب من طلاب الجامعة و طلبة العلوم الدينية وسائر طبقات المجتمع، أضف الى ذالك خطبه العديدة حول المواضيع المختلفة الإسلامية في الجمعيات الإسلامية الجامعية والمجامع العلمية.

وقد نشَر خلال هذه المدة عدة كُتب منها كتاب (آشنائى با علوم اسلامى) الذي يشتمل على ستة مباحث في المنطق والفلسفة والكلام والعرفان والفقه وأصول الفقه. ومنها تصحيح و تعليق على كتاب (العقيل) نشاطات الأستاذ في سنة ١٣٤٢، الموافق لعام ١٣٨٤ هـ. ق. وما بَعدَها:

توسّع النشاط السياسي للأستاذ المُطهري في الحركة الثورية الإسلامية التي قادها الإمام الخميني في ١٥ خرداد سنة ١٣٤٢ هـ ش. وكان لرجالِ الدين في هذه الحركة دور خاص ولذالك ألقت السلطات القبضَ على عدة من رجال الدين والخُطباء المشاهير في طهران واودعتهم السجون. ومن هؤلاء الأستاذ المُطهري الذي أُلقي القبض عليه بسبب نشاطهِ القويّ، في منتصف ليلة ١٥ خرداد ١٣٤٢ هـ ش. وبقي في السجن ثلاثة وأربعين

يوماً. وأُطلقَ سراحهُ بعدَ الضغط المتواصل من الجماهير و هجرة عُلماء البلاد الى طهران.

وفي هذه المدّة حيث حالت السلطات بين الجماهير وبين امامهم كانت المسؤولية الكبرى ملقاة على عواتق شخصيات كالأستاذ المُطهري. وبعد إبعاد الإمام الخميني في آبان ١٣٤٣. هـ ش، الموافق لعام ١٣٨٥ هـ ق. تشكّلت (جمعية رجال الدين المناضلين) او (جامعهٔ روحانيت مبارز) وكان الأستاذ الشهيد من أعضائها النشطين. وكان أيضاً ممثلاً للإمام في الحوزة العلمية في طهران وترددت بينهما المراسلات.

ويعد الأستاذ ــ في الواقع ــ من مؤسسي فكرة (جمعية رجال الدين المناضلين) ومنظّميها ولذالك نشر آراءه حول تنظيم الحوزة الدينية ضمن مقال في كتاب (مرجعيت وروحانيت).

وبذلَ الأستاذ غاية جهده خلال السنين السوداء (٤٣ ــ ٥٦) اى (١٣٨٥ ــ ١٣٩٨ هـ ق) لتوضيح الايديولوجية الإسلامية الأصيلة ضمن خطبه العديدة في الكليات والمجامع الإسلامية والمساجد وضمن المقالات والكلمات التي كانَ ينشرها.

وقد أوعزَ الإمام اليه مسؤولية قيادة الجمعيات المؤتلفة الإسلامية وهدايتها فأدى الأستاذ المُطهري دوره في هذا المجال أيضاً. وتحمّلَ أعباء المسؤولية بعد أن نُقِلت بسبب إبعاد الإمام الى تُركيا في اعقاب مسألة الكابيتالسيون (الحصانة الامريكية). وفي شهر رمضان من ذالك العام حيث أُغتيل منصور رئيس الوزراء آنذاك على يد محمد بخارائي وأُلقي القبض على زُعماء الجمعيات المؤتلفة انكشفت روابط الأستاذ معهم وأصبحت جميع أعماله تحتَ المُراقبة الشديدة من قبل السافاك. ولكنّ المُطهري البطل إستمر في نشاطه للحفاظ على اصالة الحركة الإسلامية وتوسيع دائرتها فادى دوره كرجلِ دين ملتزم شاعر بالمسؤولية.

وفي سنة ١٣٥٧ حيث ازداد لهيب الثورة: اشتد نشاط الأستاذ في مجال السياسة فكان أحد أركان جمعية رجال الدين في طهران والرابط بينهم وبين الإمام الخميني. ولم يُصدر بيان سياسي عن جمعية رجال الدين ولم يُتّخذ قرارهام من قبلهم حول المسيرات والمظاهرات ونحوها إلاّ بعدَ موافقة الأستاذ عليه. وبعدَ أن هاجَر الإمام الى باريس سافَر الأستاذ والتقى بالإمام وتحدثَ معهُ حولَ مُختلف مسائل الثورة وتلقّى منه آراءه

القيّمة ونظراته الصائبة. وهنا أوعز الإمام اليه بمسؤولية تشكيل مجلس قيادة الثورة وقام الأستاذ المُطهري بهذا الواجب خير قيام حتى رجعَ الإمام الى طهران. وكان بعد ذالك وبعد انتصار الثورة الى جانب الإمام يتعاون معهُ في شتّى المجالات.

حتى وصلَ الى امنيته المنشودة في ليلة ١١ ارديبهشت ١٣٥٨ الموافق ليوم ٤/ جمادى الثانى / ١٣٩٩ هـ ق. حوالي الساعة العاشرة والنصف فكأنه ترنّم بقولِ علي عليه السلام: (فزتُ وربِ الكعبة).

ملاحظات حول طريقة التفكير وخصائص النشاط العلمي لدى الأستاذ الشهيد:

تمتاز طريقة التفكير والنشاط العلمي لدى الأستاذ المُطهري بخصائص لاتوجد اِلاّ في رجالٍ أمثاله. وهذه الخصائص بعضها فطرية وبَعضها كان الأستاذ قد اكتسبها بالرياضة وتربية النفس تربية إِسلامية. وفي هذا الفصل نُحاول أن نَذكر بعضَ هذه الخصائص:

١ ــ البحث والتحقيق والمُطالعة القيّمة والواسعة في المسائل الإجتماعية والعقائديّة التي يهتم بها عامة الناس. وقد عَرفَ عنه اصد قاؤه ومُريدوه وقُراء كُتبه ومستمعو خطاباته انه يهتم جداً بالمواضيع التي تليق بالبحث والتحقيق ويحتاج المجتمع الى حلّ مشكلاتها. هذه المباحث كانت إِجتماعية ودينية. فمنها موضوع حقوق المرأة الذي اهتمَّ باثارته في تلك الأيام ذووا الأغراض والأطماع السياسية وملأوا المجلات والصُحف والاذاعة والتلفزيون بمقالاتهم التي ما أرادوا بها إِلاّ تضليل الشباب وتحريف افكارهم. فقام الأستاذ بمواجهة هذا التيار وكشفَ القناع عن الواقع في خطبه وفي كتابيه (حقوق زن در اسلام) أي حقوق المرأة في الاسلام و (الحجاب) ومنها موضوع القوميّة الإيرانية حيث كان يُثار في ذالك العصر عواطف القوميّة والشعوبية لفصل الفكر الإسلامي عن الدوافع الوطنية بغية تضعيف الروح الدينية في الشعب الإيراني. فنهضَ الأستاذ والّف كتاب (خدمات متقابل اسلام و ايران) واوضحَ فيه ان الايمان والعقيدة الإسلامية لاتُعارض حبّ الوطن كما كانَ أجدادُنا الإيرانيون يَسدون أجلّ الخدمات للدين الإسلامي عن طرق مُختلفة منها نشر المعارف والعلوم الإسلامية.

قال الأستاذ في ذالک الكتاب:

(إنّ المسائل المشتركة بين الإسلام وايران تُعدّ من مفاخرهما معاً. أما الإسلام فلانه هو الدين القوي الذى جَذبَ نحوه بسبب محتواه القيّم شعباً ذكياً متحضراً مُثقفاً وأما إيران فلانه الشعب الذي فاق سائر الشعوب في تجنب العصبية والخضوع للحق والتضحية في سبيله بماله من روح باحثة عن الحقيقة محبة للثقافة).

وكذالک بحثَ في كتاب (علل گرايش به ماديگيرى) أي أسباب إعتناق المذهب المادي حول موضوع الإلحاد والماديّة تحتَ عنوان (ماترياليسم در إيران) الماديّة في إيران نظراً الى الحوادث الجارية في ذالک العصر.

٢ ــ إستعداده لإستماع وقراءة كل النظريات والآراء الفلسفية والإجتماعية والدينية. وهذه الصفة ضرورية لكلِ باحثٍ منصف ملتزم حيث لابد له من التزام جانب الحياد في البحث والتنقيب عن الأفكار والعقائد والمدارس المختلفة ثم النقد والرد على الآراء الباطلة المضلّة والإجابة الصحيحة عليها. وكان هذا هو طريقة الأستاذ كما يلاحظ ذالک من جميع آثاره.

٣ ــ أمانة النقل عند بيان الآراء المخالفة. كان الأستاذ مشتغلاً بالتحقيق عن المدارس المختلفة ولذالک كان يواجه دائماً آراءهم وأفكارهم وكان لابدّ له من نقل نظرياتهم والذي يُلفت الإنتباه في جميع كُتبه وآثاره هو أمانته في نقل وبيان تلک العقائد المُخالفة.

٤ ــ كان الأستاذ المُطهري من المُتحمّسين لحرية الفكر والعقيدة. وكان يُدرك بوضوح ان صيانة كيان الإسلام كعقيدة لاتكمن إلاّ بقوة العلم ومنح الحرية للأفكار المعارضة ومواجهتها بصراحة.

وقد ألقى الأستاذ كلمة في بهمن ٥٧ (١٣٩٩ هـ. ق). أي بعدَ إنتصار الثورة في كلية الإلهيّات حولَ موضوع الحرية وشريطه المُسجل موجود. قال فيها:

(كل مدرسة تؤمن وتعتقد على ايديولوجيتها لابدَ لها من حماية حرية الفكر والعقيدة وبالعكس فكل مدرسة لاتعتمد ولا تؤمن بايديولوجيتها تمنع من حرية الرأي. ان مثل هذه المدارس تريد ان تحصرَ الناس في إطار خاص وتمنع من رشدهم الفكري...

...إنني أعلن انه لايوجد في نظام الجمهـورية الإسلامـية أي حصار للأفكار ولن يكون فيه شيء من تحديد الآراء. نعم كل الناس أحرار في عرض نتائج أفكارهم وآرائهم. ولكني أنبّه أنّ هذا لايشمل المؤامرة والنفاق. فالمؤامرة مـمنوعة ولكن عرض الأفكار الواقعية مسموح..

.....إنني أعلن لجميع الأصدقاء غير المسلمين ان الفكر حـرّ مـن وجهـة النظر الإسلامية. فكل مابدا لكم ان تفكروا فكّروا. وكيف ما أردتم أن تـعلنوا عن عقـائدكم ـ بشرط ان تكون عقائدكم واقعاً ـ إعلنوا عنهـا. وكـيفما أردتـم أن تكتبوا إكـتبوا. لن يمنعكم عن ذالك أحد.....

..... إنَّ السببَ في بقاء الإسلام هو هذه الحريات. فلوكان الأمر في بـداية الإسلام بحيث لو أنكر أحد وجود الله تعالى حُكم عليه بالضرب والقتل لم يبقَ مـن الإسلام شيء فسرّ بقاء الإسلام هو مواجهته بكل شجاعة وصراحة للأفكار المُختلفة.

وهكذا إستطاع الإسلام أن يَحفظ كيانه. وفي المستقبل أيضاً لن يستطيع الإسلام أن يستمر في حياته إلاّ مع المواجهة الصريـحة لكلِ العقـائد والأفكار المُختلفـة. وانـي أحذّر الشباب المتحمّس للدين الإسلامي أن لايظنوا ان السبيل الوحيد لصيانـة العقيدة الإسلامية هو منع الآخرين من إظهار عقـائدهم. ان القـوة الوحيدة التي تـحرس كـيان الإسلام هو العلم ومنح الحرية للأفكار المخالفة ومواجهتها بكل صراحة ووضوح).

٥ ـ كان الأستاذ يتمتع بقوة الإبـداع في عرض المشكلات وحلّهـا في المسائـل الفلسفية والعلمية والديـنية والإجتماعية والخلقية وكـان يستعمل طـريقة الإستدلال البرهاني ويحفظ الأصول العقلية في إثـبات العقـائد الأصولية الإسلامـية وتـبيّن هذه الملاحظة بوضوح من خلال آثاره القيّمة. وكـان ذكـاؤه القـوي وذهنه الحـادّ يساعد في درک عويصات المسائل حتى قالَ في حقهِ أستاذه العلامة المرحوم السيد محمد حسين الطباطبائي: (إنّي كُلما كنتُ أُبيّن في الدرس من مُشكلات العلوم الإسلامية كنت واثقاً إذا كان المُطهري حاضراً أن أتعابي وتحقيقاتي العلمية لن تذهبَ سدىً) وهذا يـدل على أن المُطهري كان في غاية الذكاء والبراعة.

٦ ـ كـان الأستاذ مُعتمداً على مـعتقداته على أساس الإستدلال، ولربـما يكون العالِم المُحقّق يبحث ويدرّس لمجرد اظهـار علومـه ومـعارفهِ. ولكنّ العـالِمَ المُلتزم

المُشفق الذي يتألم من جهل الآخرين وضلالتهم لايستطيع أن يكتفي بالتعليم على المنهج المدرسي. وكان الأستاذ المُطهري يبحث عن صميم إيمانه وعقيدته سواء في المجال الفلسفي أو في المسائل الاجتماعية والدينية. فكان يفتح عيناً ليراقب ناهبي الإيمان وعيناً أخرى يحرس بها الشباب حذراً من وقوعهم في مهاوي الهلكات.

٧ ــ ولكن هنا ملاحظة أساسية يجب الإنتباه لها وهي ان الإنسان إذا لم يزكّ نفسه من الجانب الخُلقي والمعنوي ولم يكتسب مكارم الأخلاق ولم يباشر تربية نفسه ولم يتحرّر من قيد عبودية الأهواء وملذّات الدنيا لن تنفعهُ جهوده في طلب الحقيقة أو قلّ نفعه. وكان الأستاذ المُطهري اسوة يُقتدى به في التحرّر والتزكية النفسية فكان حكيماً مجمعاً للفضائل حائزاً على العلم والتقوى. واثقاً بانّ الإنسان لايبلغ الكمال والحقيقة إلاّ بالمعرفة والطهارة. ومع انه كان مشغول البال بالعرفان والمعنوية لم يفته في نفس الوقت ان يفكر بالمسائل الإجتماعية والسياسية. وكان يرى لزاماً على نفسهِ أن يستجيب إذا طُلبَ منه التدريس في مختلف الموضوعات والمسائل، بل كانَ لايأبى الإشتراك في بحثٍ خاص إذا وجده نافعاً ومؤثراً. ومع ذلك فقد كان كاتبا مكثارا وكان عازما على ملأ الفراغ والإجابة على الشبهات.

كان متواضعاً للغاية فمع تضلّعه وسعة إطلاعه في العرفان والمسائل الإجتماعية والسياسية لم يحاول إظهار معلوماته والكشف عنها وإنما كانَ يتبيّن ان له رأياً في تلك المسألة على سبيل الصدفة.

مرور على النشاط الايديولوجي للأستاذ المُطهري
مداد العلماء أفضل من دماءِ الشُهداء

ينبغي أن ننظر الى التاريخ بمنظار هذا الحديث. فنجد دماء الشهداء تفور من جانب ومن جانب آخر تموج بحار الآراء والأفكار وهما يصنعان التاريخ ويتلوان أناشيد الحماس والحركة تارة متلاحمين متداخلين وأخرى منفصلين متجاورين.

والأستاذ الشهيد مرتضى المُطهري الذي تلقّى العلوم الإسلامية من الفلسفة والفقه والأصول والكلام والحديث والتاريخ والمعارف الإلهيّة من منابعها العيون الصافية الزاخرة وحضر خلال السنين الطوال مجالس درس المشايخ والمدرسين الكبار في الحوزة العلميّة ومن بينهم الإمام الخُميني الذي لم يكن مدرّسه فحسب، بل كان إمامه ومقتداه (وقد تُبيّن هذه الملاحظة عند رأينا إهتمام الإمام وعنايته التامة بالنسبة الى هذا العالم الجليل وتأثره وأسفِه العميق بعد إستشهادِه) انه بسبب أتعابِهِ

ومساعيه المتواصلة أصبح بحراً عميقاً وخضماً محيطاً من العلم والمعرفة الإسلامية الواقعية فكان دائماً يكافح الأفكار المستوردة المنحرفة التي تظهر كل يوم في صورة جديدة ويقف أمامها كالجبل الراسخ مُعتمداً على الأسس القويمة للفكر الفلسفي والثقافة الإسلامية.

ولكي نُدرك طريقة مكافحة الأستاذ في المجال الايديولوجي ينبغي أولاً أن نعرف المسائل والمشاكل التي كان يواجهها الأستاذ طيلة حياتهِ الكفاحيّة وقبلَ ذالك لابد من دراسة الأوضاع الإجتماعية الوخيمة في ذالك العصر.

إذا تصفّحنا التاريخ وعدنا الى ما قبل أربعين عاماً تقريباً نواجه في حوزة قم العلمية شخصية جديدة تتبلور شيئاً فشيئاً. الأستاذ المُطهري في هذا العصر طالب شاب ألمعيّ يحضر مجالس بحث الأكابر والأعاظم كالإمام الخُميني والفلاسفة الأجلاء كالعلامة الطباطبائي رحمه الله. وان ذكاءه المفُرط وذهنه الوقّاد واهتمامه لمواصلة البحث وكسب المعارف الإسلامية يبعث الأمل بتبلور قابلية عظيمة وارادة قويمة سيكون لها شأن عظيم وسهم كبير في صيانة الاسلام وترويج أحكامهِ بين جميع طبقات المجتمع ومكافحة الإنصياع للأفكار المستوردة من الشرق والغرب.

ونجد في هذا العصر أن الميل الى الحضارة الغربية قد تعمّقت جذوره واجتاحت جميع أبعاد المجتمع. فنسي الناس أمثال الشيخ فضل الله النوري والسيد حسن المدرس واصبح المجتمع يتباعد عن ثقافته الأصيلة ويتحول الى مجتمع ممسوخ فاقد الهوية. وحان الآن موعد حصاد الإستعمار مازرعه منذ اوائل الحكومة القاجارية وأخذت آثار الدسائس والمكائد الطويلة الأمد التي أسسها الاستعمار تظهر تدريجياً وتبدّل الشعب الشجاع البطل وارث الحضارة العريقة الى شعبٍ نجيب مطيع كالبقرةِ الحلوب من جراء المسخ الثقافي والاستهانة بالقِيَم الإنسانية. وفقدت الحوزة الدينية تكتّلها النسبي وتضامنها وأخذ الشعار الاستعماري القديم حول فصل الدين عن السياسة يستقر في المجتمع بسببِ إنتشار دعايات السوء ضد رجال الدين وعدم تمكّنهم من اداء دورهم في قضية الحركة الوطنية. وهكذا أقصي الإسلام عن ساحة النضال الإجتماعي حتى ان بعض رجال الدين أيضاً استسلموا لهذه الفكرة وظنّوا أن التدخل في الشؤون السياسية والإجتماعية لايليق بهم ولا يصلحون له.

إنّ التسليم لهذا التحقير المفجع أدّى الى انحصار الفكر الإسلامي والثقافة الدينية في إطار الأحكام والمسائل العبادية الفردية التي ألف فيها الرسائل العملية وحذف عنها مسائل الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والولاء والبراءة .

وأصبحت الجامعة أجنبية عن الدين وأعتبر الدين في الجو الجامعي علامة الرجعية ومعاندته عَلامة الرقيّ والتقدم. وسيطرت الثقافة الغربية على المجتمع مما أدّى الى ظهور الحركات الإنحرافية فانتشرت المدارس الأجنبية كالماركسية والوجودية بل حتى الفرويدية اتباع الإنحلال الجنسي وتولدت الحركات القومية والإلتقاطية وهكذا....

ووصل الفقر الثقافي غايته حتى أن كلّ نوع من التفكير يستورد من الغرب مهما كان مُضحكاً ومستهجناً وان كان ساقطاً حتى في المجتمع الذي اصدره فإنه سيجد في هذا المستنقع الراكد أرضية مساعدة للنمو والبروز.

واخذ النظام الحاكم بعد تحكيم مواضعهِ حوالي سنة ١٣٣٢ هـ. ش، الموافق لعام ١٣٧٤ هـ. ق. وبعد سيطرته الكاملة على الأوضاع أخذ ينفّذ المخطط الإستعماري المرسوم لاستمرار مؤامرة المسخ الثقافي. وكانت هذه المكائد تظهر في كل عصر بصورة جديدة. فكان من أهم برامج النظام البهلوي الأسود في سبيل القضاء على الفكر الإسلامي في إيران هو: إثارة الشعور القومي الكاذب والتأكيد على الايديولوجية الامبراطورية وتشديد الدعاية ضد أحكام الشريعة الإسلامية في الصحف العميلة ومواصلة النضال ضد حجاب المرأة. وتأسيس مراكز البغاء ودفع المجتمع نحو الحياة الإستهلاكية الغربية والدعاية للغرب والدفاع عن الحركات الثقافية المستسلمة للغرب وتشديد دعايات السوء ضد رجال الدين والمناضلين الأحرار.

نزل المُطهري الى المُجتمع ودخلَ ساحة النشاط الإجتماعي وامامه هذا الوضع الذي بيّناه وكان يُدرك تماماً أن هذه الأوضاع مترابطة بعضها مع بعض سواء ماكان منها ينفّذه النظام الحاكم وما كان منها يحدث بصورة طبيعية. فالنظام لايمكنه ـــ في رأي الأستاذ ـــ ان يوافق لتنفيذ مؤامراته الا أن تكونَ جذورها وأسبابها متعمّقة في خبايا المُجتمع. وكان يرى الأستاذ وراء هذه الأوضاع نظاماً دقيقاً وثقافة معتمدة على أساس فلسفي خاص. وسرعان ما تفطّن الأستاذ الى أن مكافحة هذه الظواهر لاتمكن إلاّ مع

مكافحة الأساس الفكري والفلسفي للثقافة الغربية المسيطرة فلابد من تأسيس نضال جذري وهذا يتطلب تنظيماً دقيقاً طويل الأمد وكفاحاً مستمراً لنفي أساس الثقافة الإلحادية وتبديلها بأساس فلسفي ونظام فكري أصيل قادر على المقاومة أمام التيارات الثقافية المهاجمة. كفاحاً في سبيل العودة الى الطابع الثقافي الأصيل لشعب مُني بالتحقير بعد سنين قضّاها في مكائد الإستعمار وخدعه. كفاحاً من أجل العودة الى ذاتيّتنا الثقافية التاريخية.

ولكن يجب ان لاننسى الى جانب هذا النضال مشاكل المُجتمع والحركات الفكرية فيه وذالك لأن النظام الحاكم كان ينتهز الفرصة فيقوم باثارة موجة من الهجوم الدعائي ضد القِيَم الإسلامية وكان كل منها كافياً للقضاء على العقيدة الإسلامية وممهداً لتنفيذ الخطط الإستعمارية المشؤومة التي يرسمها النظام الحاكم.

وكان الأستاذ المُطهري بالرغم من تخطيطه لبرنامج كفاحي طويل الأمد في المجال الايديولوجي يقوم في مثل هذه المواقع بهجوم مضاد استراتيجي لتخفيف الصدمة الواردة على ايديولوجية المجتمع ودفع الشُبهات التي تتعقب هذه الحملات الدعائية. ولهذا نجد ان المواضيع التي بحث حولها الأستاذ متفرقة متشتتة. فالآثار التي خلّفها على قسمين، قِسمٌ يبحث المواضيع الأساسية حسب البرنامج طويل الأمد وقسم آخر يبحث المواضيع الطارئة الموَقّتة.

وقد شرحَ الأستاذ هدفه من كفاحه الايديولوجي في كتاب (عدل الهي) فقال:

(منذ عشرين عاماً حيث مسكتُ القلمَ وكتبتُ المقالات والكتبَ لم يكن لي هدف من كل ما كتبته الاّ حلّ المشاكل والجواب على الأسئلة المطروحة في عصرنا في مختلف المسائل الإسلامية. وقد كتبت في الموضوعات الفلسفية والإجتماعية والأخلاقية والفقهية والتاريخية. ومع ان مؤلفاتي تختلف من حيث الموضوع تماماً ولكنَ الهدف العام من جميعها أمر واحد فحسب. إنّ الشريعة الإسلامية المقدسة مجهولة لدى العامة. وقد حُرّفت حقائق هذا الدين في أنظار الناس تدريجياً. والسبب الأساس في تفرق جمع من الناس عن هذا الدين هو التعاليم الخاطئة التي أُلقيت اليهم بأسم الدين. وان هذا الدين المقدّس في الوقت الحاضر يُصاب بالصدمات والضربات من جانب بعض المدّعين حمايته أكثر من غيرهم. فالهجوم الإستعماري الغربي مع عملائه المعروفين

والمجهولين من جهـة والقصور او التقصير الصادران مـن المدّعين حِمايـة الإسلام في هذا العصر من جهة أُخرى كانت السبب في الهجوم التدريجي على الأفكار والنظريات الإسلامية في مختلف المجالات من الأصول والفروع. ولهذا فانني ــ وأنـا عبدٌ ضعيف ــ رأيت من واجبي أن أقوم بما استطيع اسداءه من خدمة في هذا المجال).

وأما كفاحه الايديولوجي الموقت فكان في الموارد التي يقوم فيها النظام الملكي البائد بايجاد العقوبات في طريق المناضلين المسلمين للمنع من تـقدم الثورة الإسلامـية ونجاحها فكان الأُستاذ يقابل هذه الدسائس بكفاح موّقت.

وكانت العوامل التي تدفع الأُستاذ لكفاحه الطويل الأمد أربعة.

أ ــ الخط الإلتقاطي الغربي.

ب ــ الخط الإلتقاطي الشرقي.

ج ــ الماركسية.

د ــ تعريف الناس بالمعارف الإسلامية.

واليک الآن تفصيل الكلام حول هذين النوعين من الكفاح الايديولوجي:

١ ــ الكفاح الايديولوجي الموّقت:

كان النظام الحاكم في كل فترة من الزمان يثير موضوعاً على أيدي عملائه وكـان يبدأ الهجوم بتحريف الأحكام والقوانين الإسلامية عن طريق تـأليف كـتاب أو نشرة في الصحف. فيوماً تهتم الجرائد بالتحدّث عن موضوع الحجاب ويوماً يرثى لحـال المرأة وحقوقها الضائعة في الإسلام ويوماً يبكون فيه على الحضارة العظمى والثقـافة الاصيلة الإيرانية التي سحقها العرب المسلمون. ويوماً يندبون فيه أكبر مكتبة في العـالم احـرقها العرب المسلمون في إيران وهكذا دواليک...

وكان النظام الحاكم يهدف في هذه المناورات الموّقتة الى أمرين مهمين:

١ ــ تقدير الوضع الإجتماعي تمهيدا لتنفيذ الأهداف المشؤومة الطويـلة الأمـد ومحاسبة درجة الشعور الديني في المجتمع تـجاه المكائـد الاستعماريـة التي أوعز اليه بتنفيذها.

٢ ــ إيــجاد الأرضية المساعدة لفصل الاسلام عن شؤون المجتمع وتــبديله

بالقومية الكاذبة في إطار الثقافة الامبراطورية. وكان الأستاذ المطهّري يدرك تماماً الأهداف الشيطانية للنظام الحاكم فكان الى جانب برنامجه الطويل الأمد لنفي النظام الفكري الموجود يقوم بالدفاع أمام هذه الهجمات للمنع من إتساع رقعة التخريب.

ففي تلك الفترة التي أصبحت قصة حرق العرب للآثار الثقافية والعلمية الإيرانية لدى فتح إيران موضوع الصحف والجرائد العميلة بل أصبحت مادة تدرّس في الكتب المدرسية، قام الأستاذ بتأليف كتاب (احراق الكتب في إيران ومصر) وكمؤرخ بتضلع أخذ بالبحث والتنقيب عن هذه المسألة واثبت انه كذب محض وافتراء مشين كشف القناع في آخر الكتاب عن وجه الإستعمار الكالح فقال:

(ان دعاية إحراق الكتب في إيران والاسكندرية أصبحت تدريجيا فنّاً من فنون الهجوم ولكن وراء الامر سبباً واسباباً. فهي لعبة الاستعمار. فالاستعمار لن يوفق في الجانب السياسي والاقتصادي الاّ إذا وفق في الاستعمار الثقافي. والعامل الأساس للتوفيق في ذلك هو سلب علاقة الناس بثقافتهم وبتأريخهم. وقد تفطّن الاستعمار وتيقّن بتجاربه ان الثقافة التي تعتمد عليها الجماهير المسلمة والايديولوجية التي يعتزّون بها هي الثقافة الايديولوجية الاسلامية...)

وعندما حاول النظام الحاكم بالمسخ الثقافي للمجتمع وتحقير الحجاب (حصن عفاف المرأة) أن يصنع من المرأة المسلمة المتحررة بضاعة جوفاء فارغة في خدمة الشهوات الحيوانية وان يفرّغ الأسرة (حصن مقاومة المجتمع) من القيم الاسلامية وان يبدّل الانسان المسلم الى مستغرب خائر القوى ليتمكن من أسره ونهب ثرواته. حينذاك لم يمكن للأستاذ ان ينظر الى المعركة مستهيناً بالأمر فقام مرة أخرى ينطق مدافعاً عن الموقع الرفيع للمرأة وعن كرامتها الإلهية (الحجاب).

والأثر الباقي عن تلك المدافعات هو كتاب (مسألة الحجاب) الذي ألّفه في سنة ١٣٤٧ اى (١٣٨٩ هـ. ق) جاء في موضع منه:

(لاشک ان ظاهرة (التعري) مرض هذا العصر. وسوف تعرف هذه الظاهرة بعنوان، المرض عاجلاً أو آجلاً. ولو فرضنا اننا قلّدنا الغرب تقليداً أعمى ولكن الغربيون المتقدمون في هذا المضمار سيعلنون حقيقة هذه الظاهرة. ولكني أخاف اذا انتظرنا إعلانهم أن يفوت الوقت).

وقال في موضع آخر من الكتاب حول موضوع الحجاب:

(الحجاب مصطلح جديد تقريبا، اذا استعمل في الثوب الساتر للمرأة. والفقهاء يستعملون كلمة الستر بدلاً من كلمة الحجاب. والحجاب بمعنى اللبس وبمعنى الستار والحاجب وأكثر إستعماله في مورد الستار لا الثوب الساتر..

... وستر المرأة في الاسلام هو أن تستر المرأة جسمها اذا جالست الرّجال ولا تظهر مفاتنها... والحجاب في الاسلام يتفرّع من أصل اساسي عام وهو ان الاسلام يرى ان التمتّع الجنسي يجب ان يختص بالبيئة العائلية وفي اطار الزواج القانوني ويبقى جو المجتمع مجال العمل والنشاط الإجتماعي. وهذا الرأى الصائب في طرف النقيض للنظام الغربي المعاصر الذي يخلط العمل والنشاط الإجتماعي بالتمتّع الجنسي).

وكذالک قام الأُستاذ المطهّري في كتاب (نظام حقوق المرأة في الاسلام) بعرض إحدى أهمّ المسائل الحيوية في المجتمع أي مسألة نظام حقوق المرأة. وفي هذا الكتاب القيم إبتدأ كعادته في سائر آثاره الثمينة بالبحث عن علل عرض هذا الموضوع وجذوره. وبعد ذلک اشار الى نظام حقوق المرأة في القرآن الكريم ثم شرع في البحث عن أصل الموضوع من الجوانب المختلفة فلسفياً وسيكولوجياً واجتماعياً، واعتمد في ذلک أيضاً على القرآن والسنة النبوية وأحاديث أئمة أهل البيت عليهم السلام.

وحينما عرضت صحف النظام الحاكم موضوع إستقلال الثقافة الإيرانية الأصيلة وفصلها عن الاسلام ونضال الشعب الإيراني في صيانة مواريثه الثقافية من نفوذ الثقافة الإسلامية وتداولت هذه المسألة محافل المثقفين ومجالسهم وبادر المحققون والأساتذة المتخصصون في شؤون إيران ــ كما يزعمون ــ الى البحث والتحقيق عنها ألّف الأُستاذ كتابه القيم (الخدمات المتبادلة بين الاسلام وايران) وأوضح في هذا الكتاب جذور الشعار الإستعماري الذي ينادي بالقومية وأثبت فيه إيمان الإيرانيين وتحمسهم للاسلام بعد خلاصهم من قيود الاستضعاف الساساني وانّهم جاهدوا في صيانة الثقافة الاسلامية واستغنائها واستند في ذلک الى الآثار والشواهد التأريخية. وهذا الكتاب من حيث قوة المنطق والإستدلال والإعتماد على الشواهد التاريخية المسلمة في إثبات مسائله قد بلغ حدّاً يفضح والى الأبد هذه الشعارات المشؤومة التي ينادي بها القوميون الوطنيون ويثبت انها نداءات فارغة واستعمارية. قال الأُستاذ في

فصل من هذا الكتاب:

(لم يجد الاستعمار لتنفيذ خطته المعروفة (فرق تسد) وسيلة اقرب من إلفات أنظار الشعوب الاسلامية المختلفة الى قوميتهم وعنصريتهم وان يشغل بالهم بمجدهم الموهوم. فيقول للهنود انكم شعب عريق في كيت وكيت، ويقول للترك هيّا أسّسوا حركة الشباب الترک والقومية التركية ويقول للعرب ــ وهم مستعدون لقبول هذه التعصبات اكثر من غيرهم ـــ: اعتمدوا على العروبة والقومية العربية. ويقول للايراني: انک من الشعب الآري فيجب ان لا تقيس نفسک بسائر الشعوب وخصوصاً العرب فإنهم من الشعوب السامية...).

وقال في موضع آخر من الكتاب:

(ان الشؤون المشتركة بين الاسلام وايران تعد من مفاخرهما معاً. أما الاسلام فلأنه الدين الذي استطاع بمحتواه القويم أن يجذب اليه شعباً ذكياً متحضراً مثقفاً واما إيران فلأنه شعب ترک التعصب وخضع للحق وضحّى في سبيله اكثر من غيره من الشعوب بمقتضى روحه الساعية وراء الحق والمحبة للثقافة).

وكذلک تجلّى كفاحه الايديولوجي المؤقت في كتب من قبيل (ختم النبوة) و (الرسول الأمي) و (السلوک الجنسي في الغرب). ففي هذه الكتب قام الأُستاذ ايضاً بالرّد على الشبهات التي كان يلقيها النظام الحاكم لتضعيف الدين الاسلامي.

٢ ـ الكفاح الايديولوجي الطويل الأمد: ـ

كانت الوجهة الأصيلة لكفاح الأُستاذ نفي الأساس الفكري العقائدي للثقافة الأجنبية وتبعه سحق جميع مظاهر الشرک والإنحراف والإلتقاط في المجتمع. ولا شک ان المطهّري ما كان يكتفي في كفاحه بمجرد نفي الأسس الفكرية الثقافية الاجنبية اذ لايمكن الحصول على النتيجة المطلوبة بمجرد المواجهة السلبية لتلک الافكار بل لابد مع الجانب السلبي من كفاح إيجابي أيضاً وهو عرض نظام فكري وأساس فلسفي قوي وأصيل يمكنه المقاومة تجاه الثقافة المهاجمة.

وكان الأُستاذ واثقاً من ان الاسلام هو الطريق الوحيد لانقاذ الشعوب المحرومة من مخالب الاستعمار والاستثمار فالواجب هو تعريف المجتمع بالفكر الاسلامي. وكان

بإمكانه بفضل قدرته العلمية ونظرته الثاقبة أن يفتح أبواب الحوزة العلمية على المجتمع المثقف ويكشف الستار عن وجه العلوم والمعارف الاسلامية وان يعرض على المجتمع الأصول الفكرية والعقائدية للاسلام كنظام فكري وذالك بالاستعانة بالمنابع والذخائر العظيمة القيمة الموجودة في الحوزة العلمية. هذا في حين ان الاغلبية من أصحاب القلم والبيان من رجال الدين كانوا بين من لم يدرك الوضع الخطير الفجيع الذي يهدد كيان الاسلام وبين من لم يستطع المواجهة الصحيحة للوضع الحاضر الذي أوجدته المخططات الدقيقة المرسومة من قبل النظام من جانب والحركات الالتقاطية من جانب آخر. فالكتب والمقالات المنتشرة كانت اما سطحية ومكررة واما فاقدة للاصول الاساسية في الفكر الاسلامي.

والأستاذ أقدم على ملء هذا الفراغ في برنامج طويل الأمد كما يلي:

ا ـ مواجهة الخط الالتقاطي مع الغرب:

كان الأستاذ يدرك تماماً ان كلا سبيلي الالتقاط اليميني واليساري تتصل جذورهما بالإعجاب المفرط بالعلم والنظرية الحسية ولذالك كان يعلن مخالفته للإعتماد على التجربة بصورة مطلقة وكان يرى ذالك خطراً عظيماً على الفكر الديني. وكان يعلم بان هذا النوع من التفكير يمهّد السبيل للتفسير المادي للقرآن والأحاديث.

قال الأستاذ لأحد الاخوان في لزوم المعارضة مع الخطر الالتقاطي الغربي:

(ان هذه الحركة الفكرية لاتنحصر في إيران فحسب بل لها سوابق ممتدة في الدول العربية فالمفكرون المسلمون العرب من قبيل سيد قطب وفريد وجدي وأبوالحسن ندوي و... كانوا ينادون بهذا النوع من التفكير).

ان البلدان العربية سبقونا في هذا المجال حوالي ٥٠ سنة وتأثروا بالثقافة الغربية وتدنّست ثقافتهم بها وقد راجت هذه الأفكار بينهم بسبب بعض المسائل الثقافية. فلابد من مكافحة هذه الأفكار باسلوب صحيح مع ملاحظة الظروف الخاصة ولصيانة الفكر الاسلامي.

والأستاذ في مواجهته مع الأفكار الإنحرافية غالباً ماكان يأخذ بالبحث والنقد أسس تلك الأفكار ومبانيها فينضب الجدول الإنحرافي من المنبع. فحينما شاع التفكير

الالتقاطي الغربي بين المتديّنين واشتدت الهجمات على الفكر الفلسفي من قبل هذا الخط وعرف المنطق التجريبي بأنه الطريق الوحيد لمعرفة مضامين القرآن، نشر الأستاذ المجلد الأَول من كتاب (أصول الفلسفة) وكانت هذه أَول خطوة قام بها المطهّري في طريق الكفاح الطويل.

وهذا الكتاب (أصول الفلسفة) يشرح بلسان مبسّط أهم مسائل الفلسفة الاسلامية، ويشتمل على تعاليق مفصلة وعميقة من الأستاذ الامر الذي زاد في قيمة الكتاب مضموناً ودقة، وقد أوضح فيه اصالة الفلسفة الإسلامية واستغنائها من حيث المحتوى بالنسبة الى المكاتب الفلسفية الغربية والشرقية وذالک باسلوب المقارنة والتطبيق. ويعد هذا الكتاب من أَعمق الكتب الموجودة وأعلاها مضموناً، ويعتبر حتى الآن أَرقى كتاب فلسفي يستفيد منه المتعطشون للحقيقة.

وقد قام الأستاذ في هذا الكتاب مسايراً للأصل بتعريف الفلسفة الاسلامية وتوضيح قصور المنطق الحسي والتجريبي في تبيين قسم من المجهولات البشرية. كتفسير الكون والمعارف الالهيّة. وبيّن فيه خصائص التعقل والتفكير الفلسفي في هذا المجال. قال الأستاذ حول مضمون الكتاب:

(هذا الكتاب يشتمل على مجموعة المسائل الفلسفية بصورة مختصرة. ويبيّن فيها أَهم المسائل الفلسفية مع محاولة تبسيط الاسلوب والبيان حدّ الامكان ليستطيع كل أولئک الذين يتمتعون بذوق فلسفي ومعلومات مختصرة ان يستفيدوا منه كل بقدر إمكانياته. ولذالک تجنبنا سرد الأَدلة والبراهين المتعددة في كل مورد. واكتفينا لإثبات كل دعوى بذكر أَبسط الطرق والبراهين).

وقد دوّن هذا الكتاب ودرس في البداية من قبل المرحوم العلامة الطباطبائي على صورة مقالات متعددة ولكنه كان صعب التناول بسبب إجمال المطالب وتعقد بيان العلامة في اللغة الفارسية. ولذالک طلب العلامة من الأستاذ المطهّري ان يشرح مطالب المتن ويعلّق عليها حتى يكون الكتاب مبسطاً سهل التناول لعامة المثقفين وقام الأستاذ بهذه المهمة خير قيام ونشر كتاب (أصول الفلسفة) بهذا الوجه المقبول.

وفي مواجهة للأستاذ مع اصالة الانسان والفكر الالتقاطي الغربي اخذ بالنقد والبحث عن أسس معرفة الانسان في المدرسة الغربية واوضح نقاط التناقض فيها. والذي

يدل على شدة اهتمامه بهذا الموضوع الهام هو خطبه ومقالاته العديدة حول الانسان وكرامته في الإسلام والمقارنة بين التفسير الإسلامي للانسان ومسلك اصالة الانسان.

ان هذا المسلك يقول بذاتية الانسان واصالته تجاه الباري جل وعلا. وبعبارة أُخرى يقول بإستقلال الانسان واصالته الذاتية في حد نفسه وهذا يناقض التفسير الإسلامي للانسان الذي يقول بأن اصالة الانسان ترتبط بتعلقه بالله وهجرته عن ذاته وإن كرامته منحة من الله ومن إفاضة مقام الخلافة الالهية له. وقد أثبت الأستاذ ان الأساس الفلسفي لمسلك اصالة الانسان ينتهي أخيراً الى تحقير الانسان ومسخه وعبوديته. قال الأستاذ حول هذا الموضوع:

(ان هذه النظرية لاتؤدي الى نفي أصالة التمايلات الفطرية في الانسان كحبه للحقيقة والخير والجمال والخالق فحسب بل تؤدي أيضاً الى نفي أصالة الميل الى الواقع في ملاحظة الانسان للكون والواقع الخارجي). نقلاً عن كتاب (الانسان والايمان).

وقال في موضع آخر حول هذا المسلك:

(ان أمثال اوغست كونت الذين يبحثون عن دين الانسانية يربّون هذا الفكر في أذهانهم وهذا هو مسلك اصالة الانسان الذي أصبح فلسفة العصر تقريباً وينادي به ـ على الاغلب ـ المثقفون.

هذه النظرية ترى الانسان أمراً وحدانياً وراء الطبقات والقوميات والثقافات والأديان والألوان والشعوب والأقوام وتنفي كل تميز وتفاوت. وعلى هذه الفلسفة تعتمد البيانات الصادرة بإسم حقوق البشر في العالم وتنشر هذا الاسلوب من معرفة الذات. ولكنها في الواقع ـ مع انها تظهر منطقية اكثر من غيرها ومع كل ما انتشر لها من دعاية ـ أبعد الفلسفات عن الواقع. لماذا؟.

ان السّر يكمن في كيفية وجود الانسان وحقيقة ذاته. فهو يختلف في كيفية وجوده وحقيقته عن جميع انواع الموجودات من الجماد والنبات والحيوان. وذالك من جهة ان كل شيء يوجد ويخلق في هذا الكون فماهيته وواقعه إنما هو ما تصنعه عوامل الخلقة، ولكن الانسان بعد خلقه يبدأ مرحلة الكينونة بأن يكون على أي وجه فالانسان ليس هو الشيء الذي خلق بل هو الشيء الذي يريد أن يكون. وهو الشيء الذي تصنعه مجموعة

من العوامل التربوية ومنها إرادته واختياره). نقلاً عن كتاب (الانسان في القرآن).

وقال في موضع آخر حول سخافة هذه النظرية الغربية:

(ان برتراند راسل الفيلسوف والرياضي البريطاني المعروف وجان بول سارتر الفيلسوف الوجودي الفرنسي من الشخصيات البارزة القائلة بأصالة الانسان في عصرنا الحاضر. ومن الغريب ان راسل بنى فلسفته الأخلاقية على أساس يتناقض مع اصالة الانسان. فإن مبنى فلسفة الاخلاق لدى راسل هو المصلحة الشخصية أي أنه يرى اساس الأخلاق كسب المصلحة الأكثر والأرقى في ظل الأصول الخلقية ولا يقول بفلسفة أخرى للأخلاق وهنا نجد ان اصالة الانسان لدى راسل كيف انتهت الى عبودية المصلحة الشخصية. وأما اصالة الانسان لدى سارتر فالنتيجة البارزة لها هو دموع التماسيح التي يصبها بين فترة وأخرى على مظلومية إسرائيل وتألمه من الظلم الذي جرى عليها من قبل العرب وخصوصاً من اللاجئين الفلسطينيين). نقلاً عن كتاب (الانسان في القرآن).

ولم يكتف الأستاذ بتأليف الكتب الكثيرة في سبيل إيقاف حركة الإلتقاط والأفكار الغربية بل بذل غاية جهده عملياً في توجيه أفكار المثقفين. ولهذا السبب بالذات اختار جامعة طهران كموقع إستراتيجي ليكون مرتبطاً دائماً بالمثقفين المتدينين والمستغربين المغفلين على حدّ سواء. وكان منذ عام ١٣٣٧ (١٣٧٩ هـ ق.) حتى سنة ١٣٥٠ (١٣٩٢ هـ ق) بل بعده أيضاً من خطباء الجمعية الإسلامية للاطباء بصورة دائمية تقريباً. وأكثر مؤلفات الأُستاذ من نتاج تلك الخطب.

ومن جهة أُخرى كان المطهّري بإستقراره في الجامعة همزة وصل بين الحوزة العلمية والجامعة وكم من رجال جامعيين جذبهم الأُستاذ نحو الحوزة للتعليم والتعلّم. وهكذا كان العلامة المطهّري أحد الرجال الذين فتحوا باب كل من هذين المركزين الاجتماعيين العظيمين تجاه الآخر.

ب ـ مواجهة الخط الإلتقاطي مع الشرق:

مع تصاعد امواج الثورة وازدياد سرعة الحركة النضالية لم تتمكن حركة الالتقاط مع الغرب من الاستمرار، نظرا الى عدم تطابقها مع الظروف النضالية،

فخرجت من ساحة المعركة وخلّفت بعدها الفكر الالتقاطي مع الشرق. وهذا الفكر بسبب ارضيته المساعدة انتشر بسرعة بين الشباب ولذالک کان خطره اكبر من الفكر السابق، ومن هنا اهتم الاستاذ بهذا الخط اكثر من الخط الالتقاطي الغربي. ولم يتوان الاستاذ في مسير هذا النضال المستمر الطويل بفضل عزيمته القوية وقدرته الفائقة. وتلقى في هذا السبيل انواع التهم والتهكم من اصحاب الافكار الملفقة مع الفكر الشرقي. وامام هذه الهجمات كان كالاب الشفيق يمسح يد العطف والرحمة صابرا محتسبا على مفارق الشباب المغفل الذي لم يجد له ملجأ ولم يعتمد على ركن وثيق. وكان يرى ان هذه الشكوک والوساوس ستكون مقدمة للفلاح والهداية.

كان واثقا مطمئناً بأصالة الاسلام وعظمة مبانيه الثقافية والعقائدية وغلبته على الايديولوجيات الشرقية والغربية ولذالک لم يمتنع بكل شهامة ورحابة صدر من ترغيب الشباب على ابداء شكوكهم. واراد بذالک ان يهدم والى الابد البناء الفكري القديم البالي الذي اكتسبه الشباب من الاسلام التقليدي والسنن الخرافية والذي يعتبر اهم العوامل لنمو الافكار الانحرافية. فاذا تهدم هذا البناء بالشكوک امكن ان يبني مكانها البناء العقائدي الاسلامي الاصيل عظيما متماسكا لاتهدمه الزلازل المرجفة. قال الاستاذ في هذا الموضوع:

(ان هذا العصر عصر الاضطراب والشک في المسائل الدينية خصوصا بالنسبة الى طبقة الشباب. فهذه المجموعة من الاسئلة والشكوک الحديثة من متطلبات العصر ومقتضيات الزمان بل قد تجددت بعض الاسئلة القديمة ايضا.

فهل تستوجب هذه الشكوک والوساوس والاسئلة التي ربما تصل حد الافراط أن نتأثر ونأسف أم تستوجب أن نستقبلها مغتبطين فرحين؟ انني اعتقد انه لا داعي للقلق والتأسف فان الشک مقدمة اليقين، والسؤال مقدمة الوصول، والاضطراب مقدمة الاطمئنان. فالشک معبر وطريق حسن وضروري. ولكنه مسكن ومنزل غير مناسب. والاسلام حيث يكثر الدعوة الى التدبر واليقين يعلمنا ضمنا ان الحالة الأولى للبشر هي الجهل والشک والترديد وانه يصل الى مرحلة اليقين والاطمينان بفضل التدبر والتفكير الصحيح. قال أحد الحكماء:

«يكفي في فائدة الكلام ان يكون موجبا للشک والترديد فيبعثک الى البحث عن

الحـق واليقين» الشک هو القلق ولكن ليس كـل ارتـياح مـفضلا على هذا القلق، فالحيوان لايشک ولكنه هل يصل الى مرحلة اليقين والايمان؟ فهذا النوع من الارتياح في مرتبة دون الشک ولكن ارتياح اهل اليقين فـوق الشک» نـقلا عن كـتاب العـدل الإلّهي.

كان الاستاذ يتألم جدا من وجود الافكار التلفيقية والانـحرافية، قـال حـول هذا الموضوع:

(كل حركة اجتماعية لابد لها من الاعتماد على حركة فكرية وثقافية والاّ فستقع في شباک الحركات التي تتمتع برصيد ثقافي وتنصهر فيها فـتغير مسيرها لامـحالة. كـما رأينا الجماعة الذين لايملكون من رصيد الثقافة الاسلامية شيئًا كيف وقعوا كالذباب في نسيج العنكبوت.

ومن جهة أُخرى لا بد لكل حركة ثقافية اسلامـية تـريد ان تكون رصيد الحـركة اجتماعية أن تتغذى وتنشأ من متن ثقافتنا العريقة لا الثقـافات الأُخـرى. فـلا يكفـي ان نلتقط اصولا من سائر الثقافات كالفلسفة الماركسية كـان يـحاول ان يستخـرج اجـابة المسائل من ذخائر الثقافة الاسلامية الثمينة وبيينها ويشرحها. وقد وفق في هذه الطريقة للحصول على نتائج عظيمة.

وحول نظرية المعرفة عرض الاستاذ بـتفصيل جميع جـوانبها مـن وجهـة النظر الاسلامية. والمباحث التي بينها في الخطب التي القاها بصدد تشريح نظرية المعرفة تبين لنا بوضوح مدى شخصيته العظيمة وثباته أمام الامواج الالتقاطية والتثقيفية المعاصرة.

وقد اعتمد الاستاذ في هذه الخُطب على الآيات والروايات والفلسفـة الاسلامـية وبيّن نظرية المعرفة على اساس الاعتقاد بالنفس المجردة. فـعرض الابـحاث الفلسفية حول الوجود الذهني واتحاد العاقل والمعقول وتقييم المعلومات البشرية وغير ذالک في اسلوب شيق، واخذ يعدّ منابع المعرفة واسبابها. وأكد على حصول المعـرفة عن طـريق القلب ودور التقوى والتزكية وصفاء الباطن في المعرفة وذالک في ذالک الجو الساخـن بالنظريات الحسية والمادية حيث لم يكن يـجرؤ احـد على الاعتراف بـوسيلة للمعـرفة خارجة عن نطاق التجربة ِالاّ وتنصب عليه اللعنات من جانب اله العلم التجريبي.

وعندما كان الاستاذ يبين الافكار الالتقاطية لنقدها والرد عليهـا لم يكن يكتفـي

بذكر ادلتهم التي يستندون اليها بل كان يأتي بدلائل جديدة لاثبات عقائدهم لم تصل اليها عقولهم القاصرة ثم يأتي عليها جميعا فينفذها واحدة تلو الأُخرى. وتتبين هذه الملاحظة الدالة على عمق تفكيره وحدّة نظره بمراجعة مقالته (بحث حول التقسيم الطبقي من وجهة نظر القرآن).

وابحاث الاستاذ حول مسألة الكون والوجود كثيرة جدا. فكتاب (اصول الفلسفة) واكثر خطبه ومقالاته تدور حول هذا المحور. وقد جمع مختصراً من كليات تلك الابحاث في المجلد الثاني من كتاب (التفسير التوحيدي للكون). وكان سرّ قدرته في هذه الابحاث يكمن في مسلكه الفلسفي حول الكون والوجود ومعرفة الكون.

والمطهري في صراع دائم مع الافكار المنحرفة، وقد ألّف كتابيه (التفسير التوحيدي للكون) و (الحياة الخالدة) بصورة مختصرة وجامعة وضمنها الابحاث الطويلة الفلسفية والفقهية والتفسيرية ونحوها وذالك بصدد عرض مسائل الكون والوجود بصورة منتظمة.

وقد اوضح في كتاب (التفسير التوحيدي للكون) نظرة الاسلام الى العالم وبهذه المناسبة عرض فيه مسائل التوحيد والعدل والحكمة البالغة الالهيّة. فابتدأ فيه بتعريف تفسير الكون ثم تعرض لاهمية هذا التفسير وأن جميع الاديان والشرائع والمدارس والفلسفات الاجتماعية تعتمد على نوع من تفسير الكون. وبعد ذالك أشار الى الفرق بين تفسير الكون والاحساس بهثم استنتج من مجموع ذلك قوله:

(ان كل تفسير للكون انما يمكن ان يقع عماداً لايديولوجية أو سنداً لإيمان اذا كان يعتمد على الدين في صياغتها وصبغتها).

وفي النهاية تعرض لموضوع الانسان ووصول الواقع الوجودي له الى مرحلة الاتحاد، وكذالك بلوغ المجتمع البشري الى مرحلة الاتحاد والتماسك في نظام اجتماعي متضامن متكامل. وتعرض ايضا لثلاث نظريات في هذا الموضوع: المادية، والمثالية، والواقعية، وجعلها مورداً للبحث والمقارنة واختار اخيراً النظرية الواقعية التي هي نظرية الاسلام فقال:

(ان المراد بالمجتمع اللاطبقي الاسلامي هو المجتمع بدون تمييز وبدون محروم وبدون طاغوت، والمجتمع العادل بدون ظلم لا المجتمع بدون اختلاف فانه بنفسه نوع

من الظلم وسلب العدالة. فهناك فرق بين التميز والاختلاف كما ان نظام الكون فيه اختلاف ايضا وهذه الاختلافات هي التي اضفت على الكون الجمال والتنوع ودفعته الى التطور والتكامل. ولكن ليس فيه تمييز. فالمدينة الفاضلة الاسلامية ضد التميز لاضد الاختلاف. المجتمع الاسلامي مجتمع التساوي والتعادل والاخاء).

وقال في موضع آخر:

(المجتمع الاسلامي مجتمع طبيعي لامجتمع التبعيض ولا مجتمع التساوي المنفي. وشعار الاسلام: العمل بمقدار القدرة. والاستحقاق بمقدار العمل).

وابدى الاستاذ المطهري نظريات جديدة ايضا في مسألة المجتمع والتأريخ. وهذه المسألة ــ مع الأسف ــ من المسائل التي قلّ التوجه اليها من قبل فلاسفة الاسلام. فقلما نجد في الكتب الاسلامية بحثا حول المجتمع والتاريخ.

ويبدأ الاستاذ بحثه في كتاب (المجتمع والتاريخ) عن بدء نشوء المجتمع ونوعية تركبه من الافراد. ثم اثبت مستنداً الى الآيات القرآنية والاحاديث ان النظريات الالتقاطية حول هذا الموضوع مرفوضة من قبل القرآن الكريم.

وكما قلنا فان مواجهة المطهري للثقافة الغربية والافكار الالتقاطية كانت دقيقة مدروسة فلم يكن يكتفي بنفيها وردها بل كلما اعلن عن فكر انحرافي عقّبه فوراً بآرائه النظرية الصحيحة في ذالك الموضوع بالذات. وبعبارة أُخرى كانت مواجهته مع الانحراف والالتقاط مواجهة ايجابية اكثر من كونها سلبية. وقلنا ايضا ان هذه الميزة التي كان يتمتع بها الاستاذ انما كانت بسبب علو مقامه العلمي وعمق تفكيره في المعارف الاسلامية. فهذا العمق والمحتوى من جانب والايمان والالتزام والشعور بالمسؤولية من جانب آخر مع سعة اطلاعه في المشاكل الاجتماعية صنعت منه معلماً ايديولوجيا بارزاً. فكان يواجه المشاكل بقوة الفقاهة. والاجتهاد ويدخل المعركة في كل المجالات وهو غني من العلوم.

وللاستاذ ايضا تحقيقات واسعة حول الاقتصاد والملكية. ولكنه ــ مع الأسف ــ استشهد قبل ان يتم عمله في هذا المجال. ولقد ابدى الاستاذ المطهري حول ملكية الآلة الصناعية احتمالا يفتح باباً فقهياً جديداً في حل المشكلات الاقتصادية العصرية.

وقد ذكر هذا الاحتمال في بعض ملاحظاته التي سجلها حول الاقتصاد الاسلامي

ولكنها بقيت غير منقحة ومنظمة ولذالك لم تطبع حتى الآن.

والظاهر انه لم يوفق لمراجعتها ولذالك لايمكن اسناد ذالك اليه بعنوان نظرية اقتصادية الا انه كما قلنا يفتح افقاً جديداً في الاقتصاد الاسلامي وان كان في اصله مجرد احتمال.

قال الاستاذ:

(وفي رأينا ان للرأسمالية الحديثة ميزة خاصة تجعل منها موضوعاً جديداً في الابحاث الفقهية وهي بروز الآلة الصناعية على المسرح الاقتصادي. فدور الآلة ليس مجرد تحسين وسائل الانتاج واستخدام الانسان لآلة متطورة في عمله الانتاجي. بل ان التكنولوجيا الحديثة قد جعلت الآلة بديلاً للانسان. فالآلة الصناعية مظهر الفكر والطاقة والارادة الانسانية وتكامل المجتمع، وتبلور الحضارة البشرية في طول التاريخ، وحصيلة جهود الانسان طيلة قرون متمادية. فالآلة بديلة للانسان لا وسيلة في يده، وهي انسان صناعي. والالة تنتج القيمة الفائضة. بمعنى انها تنتج مئاة اضعاف الطاقة التي صرفت لصنعها.

والميزة التي اختصت بها الرأسمالية الحديثة هي ان الانسان الرأسمالي يملك في حوزته الآلة الصناعية مع هذه القدرة الفائقة التي تتمتع بها وهو لم يخلقها ولم يخترعها وانما اشتراها وتملكها.

فهل يمكن ان يكون هذا المورد الاقتصادي الضخم ملكاً شخصياً ام يجب ان نعتبره كسائر الموارد الطبيعية ملكاً لعامة المجتمع؟).

جـ مواجهة الماركسية:

كانت الحركات الالتقاطية تهدد الاسلام دائما بالايديولوجية الماركسية، فلم تمكن معارضة الالتقاط الاّمع مواجهة منطقية مع الاصول الفكرية الماركسية التي كانت منبع الالتقاط ومن هنا كان الاستاذ يهتم بهذه الفلسفة اكثر من أي ايديولوجية اجنبية أُخرى.

كان الاستاذ يعرف الماركسية جيدا بسبب تبحره في الفلسفة ومعرفته للفلسفة الأُوربية. ومن هنا كان الاستاذ اول من عرض فكراً جديداً في النقد والبحث الفلسفي

حول الماركسية فهناك الخُطب والمقالات التي خصصها بالمادية والماركسية مضافاً الى شريط مسجل يبلغ ثمانين ساعة حول ماركس والماركسية يعد من اعمق الابحاث في هذا الموضوع.

وقد بدأ الاستاذ نضاله ضد الماركسية من كتابه (اصول الفلسفة) حوالي سنة ١٣٢٠ هـ ش، الموافق لعام ١٣٨٢ هـ ق. وان كان الكتاب اثمن بكثير من ان يخصص بالرد على الماركسية ــ كما اشار اليه الاستاذ في مقدمة الكتاب ــ ولكن على كل حال ففي كل موضوع يتعرض له الكتاب بعد ذكر آراء الفلاسفة المسلمين يذكر في التعليقة نظريات سائر المدارس الفلسفية بها فيها الماركسية ويعقبها بالبحث والنقد.

ان التحقيق حول الماركسية يعد جانبا من اختصاص المطهري فقد قضى شطراً كبيراً من عمره في المطالعة والتنقيب عن الماركسية وعرف بوضوح وجوه افتراقها عن الفلسفة الإلّهية. كما بحث ايضا عن اسباب التمايل نحو المادية والماركسية في ايران والعالم وسجلها في كتابه (اسباب التمايل نحو المادية) وتعرض فيه لهذا الموضوع من الجانب الفلسفي والديني والتاريخي والاجتماعي والاقتصادي. ولم يغفل الاستاذ أن يعد من الاسباب الهامة التي ادت الى هذا التمايل ضعف المتدينين وجمودهم ولم يدافع امام هذا الالحاد وشرك القرن العشرين عن جمود الافكار المتحجرة. قال الاستاذ في كتابه المذكور:

(ان العلل والاسباب التي ذكرناها من قبيل قصور مفاهيم الكنيسة او قصور المفاهيم الدينية و.....اما انها مختصة بالعصور السابقة ليس لها دور في تمايلات عصرنا نحو المادية او انها من الاسباب المشتركة بين القديم والجديد ولا يختص بعصرنا وهنا نريد ان نذكر اسباب التمايلات المادية الخاصة بعصرنا. ففي هذا العصر نجد ان المادية لها نوع من الجاذبية تقريباً ولكن ليست من نوع الجاذبية التي كانت لها في القرنين السابقين من جهة تلازمها المزعوم مع العلم والثقافة. ففي القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ظهرت موجة دعائية من جراء قصور المفاهيم الكنيسية والفلسفة الاوروبية بان الايمان بالله والدين لايجتمعان مع العلم فاما هذا واما ذاك. ولكن هذه الموجة لم تدم طويلا فتبين ان هذه الدعاية لااساس لها. فجاذبية المادية في عصرنا من جهة أُخرى وهي الطابع الثوري والجدلي والنضالي الذي عرفت به). نقلاً عن كتاب (اسباب التمايل

نحو المادية).

ثم اشار الاستاذ الى ان اكثر الثورات المعاصرة اما انها ماركسية او متمايلة اليها وفي قبال ذالک ليس للدين في هذا الزمان تلک الروح الحماسية للنضال مع الاستمار والاستبداد. وفي ذكر اسباب هذه الظاهرة قال المطهري:

(..... حقا ان هذا لعجيب ممن يدعون متابعة القرآن. ونحن نرى ان خروج المؤمنين بالله من ساحة المعركة واحتلالها من قبل اتباع المادية لكل منهما سبب خاص.

فالساحة انما خلت من المؤمنين حينما اصبح المدعون للقيادة الدينية يطلبون العافية. وبعبارة اصح انما حدثت هذه الظاهرة حينما جاء بعض الطالبين للعافية والحياة العادية و ـ بتعبير الدين ـ بعض اهل الدنيا واحتلوا مقام الانبياء والائمة واشتبه الامر على الناس فاعتبروهم ممثلين وخلفاء للانبياء والائمة مع ان سلوكهم ونفسيتهم في طرف النقيض لسلوک الانبياء والائمة واتباعهم الحقيقيين ونفسياتهم واذا كان هناک تشابه بين الفريقين فانما هو في شيء يسير من المظهر الخارجي: ـ نقلاً عن كتاب (اسباب التمايل نحو المادية)

د. التعرف على العلوم الاسلامية:

كان المجتمع الإيراني قبل الثورة بسنين لايملک عن الحوزات العلمية الدينية الاّتصورات مبهمة كالشبح ولايعلم ماذا يجري هناک. وقلما كان من يعرف مواضيع العلوم الاسلامية والمسائل التي تدرس في الحوزات العلمية وماهي المقدمات التي يتوقف عليها البحث عن القرآن الكريم ودرک معانيه والتعرف على الابعاد المختلفة للفكر الاسلامي. وبعد ان شاعت الأفكار الإلتقاطية حدث في المجتمع هذا التصور الخاطيء وهو ان بإمكان كل أحد يملک قرآنا مع ترجمته الفارسية ومعجماً مفهرساً أن يفسر الآيات القرانية بلاتردد ويشرح الاحكام الشرعية. ومن الواضح ان هذا الاستخفاف بالحقائق القرآنية والاسلامية كان يشكل خطراً عظيماً.

وفي هذا المجال قام الأُستاذ بتعريف المجتمع على العلوم الاسلامية ليعرف الناس وخصوصاً الشباب أولاً ماذا يجري في الحوزات العلمية وثانياً ماهي الوسائل

التي لايستغني عنهـا الباحث عن المواضيع الاسلامـية. ولذالک آلف الأُستاذ کـتباً لتعريف العلوم الاسلامية وحاول فـيها أن يشرح بـبيان مـبسط حـد الإمكان، الاصول والمواضيع الكلية لمباني التفكير الاسلامي بما فيها الفلسفـة والكلام والمنطق والفقـه واصول الفقه والعرفان و ..... ومراجعة هذه المجموعة مـن كـتب الأُستاذ بـالرغم مـن صغر حجمها واختصار مطالبها التي هي مـجرد تصويـر إجمالي للمعـارف الاسلامـية لجديرة بأن تؤدي دوراً هاماً في مـنع الانـحراف الناشيء مـن عدم التأمـل وعدم نضج التفكير وكذالک في توطيد المباني الفكرية والعقائدية.

ونحن اذا تأملنا آثار المؤلفين المسلمين وجدناها ضعيفة جداً مـن حيث اسلوب البيان وبساطة التعبير وقلما نجد في الكتب الايد يـولوجية كـتاباً سهـل التناول يكون في نفس الوقت عميقاً في المطالب قوياً في الاستدلال. ومع هذه الملاحظة اذا لاحـظنا كـتب الأُستاذ من قبيل (الفقه واصول الفقـه) و (المنطق والفلسفـة) و (العـرفان) و ..... التي دونها بتعبير بسيط وهي متن أبحاثه في الجامعة لرأينا فيها دقة النظر ورقـة البيان وعظمة الفن وشفقة الأستاذ.

ولا يسعنا الآن أن نتحسر على الأستاذ المطهّري الذي بين المجـدين والفضيلتين مداد العلماء ودماء الشهداء و التحق في هذا الطريق بشهداء الشيعـة الأمـاجد كـالشهيد الأول والشهيد الثانـي و..... ولئن استشهـد فإن شمس دمـائه المشرقـة زادت سماء الاسلام مجداً وعظمةً. وأفاضت بـالنور والطاقـة على الثورة الاسلامـية فـمنحتها حياة وحركة جديدة. وعاد الناس يـلجأون الى الاسلام الاصيل ويـتنفعون مـن عيونـه البكر الصافية. ويتطهّرون منها روحـاً وجسماً لدى شروق فـجر الافكار مـن القمم العـالية للفلسفة والعرفان.....

الآثار القيمة للأستاذ
الشهيد آية الله مرتضى المطهّري

الأستاذ مرتضى المطهّري الكاتب العبقري. والخطيب المصقع. الأستاذ في الجامعة والمدرس في الحوزة. الواعظ المبلغ. والفيلسوف الأوحدي. رجل الدين والمنطق والفصاحة. الخبير بالشؤون الاسلامية. الذي قضى عمره في تمييز الافكار المنحرفة غرباً وشرقاً عن الفكر الاسلامي الأصيل. والذي كان بفضل خصائصه المختلفة كجسر بين رجل الدين والجامعي والمثقف والأستاذ والمحقق من جانب وبين عامة أفراد المجتمع من جانب آخر. رجل الزهد والتقوى والخلق الكريم والجهود المتواصلة. الذي حمل الإسلام الى جميع الأوساط الاجتماعية وبتدريسه وتبليغه و وعظه وارشاداته في المسجد والحوزة والجامعة بالغ في حراسة المواقع الاسلامية الكبرى. وكان حقاً ملجأ الشباب والمحققين الذي صانهم من العثرات في ظلمات الوساوس والشبهات والمنطق الاجنبي.

وأخيراً وفي ليلة دهماء مرت عليها حتى الآن مايقارب ثلاثة أعوام نال درجة الشهادة وبفقدانه فجع الدين والانسانية وارتدى المسلمون السواد وأصيب الاسلام وما

أجمل ماورد في الحديث: (اذا مات المؤمن الفقيه ثلم في الاسلام ثلمة لايسدها شيء).

هذا وقد خلف الأستاذ في عمره القصير آثاراً جليلة. وقد حاولنا هنا أن نذكرها سواء ماطبع منها ومالم يطبع. وقد بذلنا الجهد حدّ الإمكان في دقة هذا الفهرس وقلة اخطائه. واليك فيما يلي ترجمة أسماء كتبه وسائر آثاره:

القسم الاول: الكتب.

أ ــ الكتب المنشورة:

١ ــ اسباب التمايل نحو المادية.

٢ ــ المادية في ايران. طبع منظماً الى الكتاب السابق وله إسم آخر هو (المقال الذي سطّر بالدم).

٣ ــ الامدادات الغيبية في حياة البشر.

٤ ــ لن تغرب شمس هذا الدين. طبع منضماً الى الكتاب السابق.

٥ ــ الرشد الاسلامي. طبع منضماً الى الكتاب السابق.

٦ ــ الادارة والقيادة في الاسلام.

٧ ــ نظام حقوق المرأة في الاسلام.

٨ ــ مسألة الحجاب.

٩ ــ السلوك الجنسي في الاسلام والغرب.

١٠ ــ الخدمات المتبادلة بين الاسلام وايران ج ١.

١١ ــ الخدمات المتبادلة بين الاسلام وايران ج ٢ وقد أضيف اليه في الطبعة الثانية.

١٢ ــ العدل الالهي.

١٣ ــ مرور على نهج البلاغة.

١٤ ــ الانسان والمصير.

١٥ ــ جذب الإمام علي (ع) ودفعه.

١٦ ــ ثورة الإمام المهدي (ع) من وجهة نظر الفلسفة والتاريخ

١٧ ــ الولاء والولاية طبع منضماً الى كتاب الخلافة والولاية الطبعة الاولى.

١٨ ـ ختم النبوة. طبع منضماً الى كتاب خاتم الأنبياء المجلد الاول.

١٩ ـ النبي الأمّي (ص) طبع منضماً الى كتاب خاتم الانبياء المجلد الثاني.

٢٠ ـ الحركات الإسلامية في القرن الأخير.

٢١ ـ التكامل الاجتماعي في الاسلام.

٢٢ ـ إحراق الكتب في إيران ومصر. (مقال من كتاب الخدمات المتبادلة بين الإسلام وايران).

٢٣ ـ الانسان والايمان (مقدمة على التفسير الاسلامي للكون ج ١)

٢٤ ـ تفسير الكون (مقدمة على التفسير الاسلامي للكون ج ٢)

٢٥ ـ الوحي والنبوة (مقدمة على التفسير الاسلامي للكون ج ٣)

٢٦ ـ قصص أهل الحق ـ الجزء الاول.

٢٧ ـ قصص أهل الحق ـ الجزء الثاني.

٢٨ ـ مجموعة من المقالات.

٢٩ ـ عشرون مقالة. (مجموعة من خطبه المذاعة).

٣٠ ـ عشرة مقالات. (قسم من مقالاته في كتاب: مقال الشهر و.....)

٣١ ـ التحصيل. (تصحيح وتعليق على كتاب بهمنيار).

٣٢ ـ اصول الفلسفة ج ١ (مقدمة وتعليق على ابحاث الأستاذ العلامة الطباطبائي).

٣٣ ـ اصول الفلسفة ج ٢ (مقدمة وتعليق على ابحاث الأستاذ العلامة الطباطبائي)

٣٤ ـ اصول الفلسفة ٣ (مقدمة وتعليق على ابحاث الأستاذ العلامة الطباطبائي).

٣٥ ـ اصول الفلسفة ج ٥ (مقدمة وتعليق على ابحاث الأستاذ العلامة الطباطبائي).

٣٦ ـ المجتمع والتاريخ.

٣٧ ـ الحياة الخالدة أوالدار الآخرة.

ب ــ الكتب التي لم تنشر:

لقد ترک الأستاذ كتباً وابحاثاً كثيرة لم تطبع قيل انـها أكثر مـن أربـعين كـتاباً ونرجوا أن تنتشر قريباً بفضل الجهـود المبذولة. ويسرنـا أنّ قسماً مـنها تـحت الطبع، اليک فيما يلي أسماؤها:

١ ــ المقالات الفلسفية.

٢ ــ المعرفة في القرآن.

٣ ــ معارف الانسان.

٤ ــ الإمامة والقيادة.

٥ ــ الانسان من وجهة نظر الماركسية والاسلام.

٦ ــ الاقتصاد الاسلامي.

٧ ــ الفطرة وقيمتها.

٨ ــ فلسفة التاريخ.

٩ ــ الاسلام و متطلبات العصر.

١٠ ــ الرقيّة.

١١ ــ ابحاث حول سيرة الرسول الاكرم (ص) وتاريخ الاسلام.

القسم الثاني: المقالات

أ ــ المقالات المجموعة في كتاب (عشرون مقالة).

١ ــ العدالة في رأي الإمام على (ع).

٢ ــ مبحث العدالة في علم الكلام.

٣ ــ المباني الأولى للحقوق في الاسلام.

٤ ــ الحقوق مهمة والدنيا حقيرة.

٥ ــ العدالة أو المساواة.

٦ ــ الله يرزق وعلينا الجهد والسعي.

٧ ــ الإمام الصادق عليه السلام.

٨ ــ الإمام الكاظم عليه السلام والسجن.

٩ ــ منافع الشدائد والبليات.

١٠ ــ فوائد الايمان وآثاره.

١١ ــ الدنيا في رأي الدين.

١٢ ــ العلم والاسلام.

١٣ ــ العبوديات.

١٤ ــ العقل والقلب.

١٥ ــ ماذا يعلمنا فصل الربيع.

١٦ ــ التفكّر في القرآن.

١٧ ــ القرآن يستدل بالحياة على التوحيد.

١٨ ــ الدعاء.

١٩ ــ النظام الاداري في الانسان.

٢٠ ــ الانكارات الخاطئة.

٢١ ــ اصالة الروح. (مقال في مجلة مكتب تشيع)

٢٢ ــ القرآن ومسألة من الحياة (مقال في مجلة مكتب تشيع و...)

٢٣ ــ الاجتهاد في الاسلام.

٢٤ ــ دور العقل في الاجتهاد.

٢٥ ــ التوحيد والتكامل.

٢٦ ــ السعادة.

٢٧ ــ التضاد في الفلسفة الاسلامية.

٢٨ ــ تاريخ الفلسفة في الاسلام.

٢٩ ــ الغدير والوحدة الاسلامية.

٣٠ ــ المشكلة الاساسية في نظام رجال الدين.

٣١ ــ الشهيد.

ب ــ المقالات المجموعة في كتاب: (عشر مقالات).

١ ــ التقوى في الاسلام.

٢ ــ آثار التقوى.

٣ ــ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٤ ــ الاجتهاد في الاسلام.

٥ ــ إحياء الفكر الديني.

٦ ــ العلم فريضة.

٧ ــ قيادة الشباب.

٨ ــ الوعظ والخطابة.

ج ــ مقالات أخرى.

١ ــ السلوك الجنسي.

٢ ــ إيران والاسلام.

٣ ــ مرور على نهج البلاغة.

٤ ــ المرأة في حقوق الاسلام.

٥ ــ الاسلام وإيران.

٦ ــ أي دنيا يذمها علي عليه السلام.

٧ ــ الزهد رهبنية أم معنوية.

٨ ــ هل الدنيا والآخرة ضرتان؟.

٩ ــ حول فيلم (المحلل).

١٠ ــ الدنيا المذمومة.

١١ ــ صداق الذّم.

١٢ ــ الهام من شيخ الطائفة.

١٣ ــ إله العالَم والعالِم.

١٤ ــ خدمات المرحوم آية الله البروجردي وخصائصه.

١٥ ــ التفسير الالهي والمادي للكون.

١٦ ــ اسئلة ابي ريحان الفلسفية من إبن سينا (تحقيقات حول أبي ريحان البيروني).

١٧ ــ حديث صحفي مع الفيلسوف الشهيد مرتضى المطهّري.

بالرغم من الجهود التي بذلناها ليكون هذا الاحصاء كاملاً ولكن يمكن ان تكون هناک مقالات من الأستاذ لم يأت ذكرها في هذه الاحصائية.

القسم الثالث: الاشرطة:

أ ــ المباحث المفصلة:	عدد الاشرطة
١ ــ الامامة والولاية	٥
٢ ــ مستقبل الثورة الاسلامية في إيران.	١٠
٣ ــ المعرفة بين وجهة نظر القرآن	٢٠
٤ ــ النظريات حول المعرفة.	١١
٥ ــ خصائص المدرسة المثلى.	١٠
٦ ــ فلسفة التاريخ.	٣
٧ ــ الانسان الكامل.	١٣
٨ ــ الله تعالى.	١٠
٩ ــ التعليم والتربية في الاسلام.	١٥
١٠ ــ حركة التحرير الاسلامية.	٣
١١ ــ الإنسان من وجهة نظر الماركسية. والإسلام.	٢
١٢ ــ الجهاد والشهادة.	٢
١٣ ــ فلسفة الاخلاق.	
١٤ ــ الهجرة والجهاد.	٤
١٥ ــ التاريخ والفلسفة.	٣
١٦ ــ الفطرة.	٥
١٧ ــ التوحيد.	٦
١٨ ــ فلسفة الحجاب.	٢

١٩ ــ العبادةوالدعاء.	٣
٢٠ ــ الشفاعة.	١١
٢١ ــ سيرة الرسول الأكرم (ص).	٢
٢٢ ــ حلقة في حسينية الإرشاد. أيام عاشوراء.	٧ (برفقة سائر الأساتذة)
٢٣ ــ التضاد والحركة في الفلسفة. الاسلامية.	٢
٢٤ ــ عرفان حافظ الشيرازي.	٥
٢٥ ــ مفهوم الثورة وماهيتها.	٢

ب ــ المباحث المختصرة ذات مجلس واحد

١ ــ عصر الإمام الصادق عليه السلام.

٢ ــ حرية العقيدة.

٣ ــ العدل الكلي.

٤ ــ التقليد.

٥ ــ الأثر الاجتماعي للتوحيد.

٦ ــ التوحيد الذاتي.

٧ ــ الأثر الفردي للتوحيد.

٨ ــ الحرية المعنوية.

٩ ــ الاسلام وحاجات العالم اليوم.

١٠ ــ المهدي الموعود.

١١ ــ الاسلام ومتطلبات العصر.

١٢ ــ اهداف رجال الدين في الحركات الاسلامية.

١٣ ــ تجديد الحياة الفكرية في الاسلام.

١٤ ــ حقوق المرأة في الاسلام.

١٥ ــ الأمر بالمعروف.

١٦ ــ الشعارات في عاشوراء.

١٧ ــ الحرية والرقيّة.

١٨ ــ إحراق الكتب في الاسكندرية.

١٩ ــ الرقيّة وعظمة الروح.

٢٠ ــ إحياء الفكر الاسلامي.

٢١ ــ الارادة.

٢٢ ــ الانسان الأمثل ومُثُل الانسان.

٢٣ ــ استشهاد الإمام موسى بن جعفر عليه السلام.

٢٤ ــ مشاكل الإمام علي عليه السلام.

٢٥ ــ الفقه الجعفري.

٢٦ ــ التربية والتعليم في الاسلام.

٢٧ ــ فكرة (الله) في حياة الانسان.

٢٨ ــ اصول البحث في الفقه.

٢٩ ــ مفهوم الحرية في الاسلام.

٣٠ ــ الاجتهاد والقياس لدى الاصوليين والاخباريين.

٣١ ــ منابع البحث في فلسفة صدر المتألهين.

٣٢ ــ الحب والمسيحية.

٣٣ ــ حياة الرسول الأكرم (ص).

٣٤ ــ الجبر والاختيار.

٣٥ ــ القوانين الاسلامية وتطور العالم الحديث.

٣٦ ــ اسباب سقوط المسلمين.

القسم الرابع: الابحاث والجلسات.

أ ــ مجالس البحث.

كان الأستاذ الشهيد يقوم بالتدريس في مواضيع قيمة وضرورية ضمن جلسات عامة و خاصة. و تقرير تلك الدروس أو تحرير مضمون أشرطتها بشكل كتباً متعددة

قيمة. ونشير هنا الى بعض تلك المجموعات.

١ ــ تحقيقات حول الفكر الماركسي (في اكثر من ١٢٥ جلسة)

٢ ــ الفلسفة الاسلامية. (بحوث عديدة في الحوزة العلمية في قم و طهران).

٣ ــ تفسير القرآن.

٤ ــ الابحاث العديدة التي ألقاها في كلية الإلهٰيات حول المواضيع المختلفة من العلوم الاسلامية.

ب ــ الرسائل الجامعية حول بحوث الأستاذ:

١ ــ المسائل العامة في الفلسفة الاسلامية.

٢ ــ المسائل العامة في اصول الفقه.

٣ ــ المسائل العامة في الفقه.

٤ ــ المسائل العامة في المنطق.

٥ ــ المسائل العامة في العرفان.

٦ ــ اكثر من ثلاثين رسالة في اطروحات الماجستير والدكتوراه التي اعدت تحت إشراف الأستاذ المطهّري قدس الله روحه الطاهرة.